جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

قسم علم الاجتماع و الديموغرافيا

مذكرة مقدمة استكمالا لمتطلبات شهادة ماستر أكاديمي

الميدان: علوم اجتماعية

الشعبة : علم الاجتماع

التخصص : علم اجتماع الاتصال

من إعداد الطالب : **عبد الله باباحد**

بعنوان :

تمثل الأولياء الصالحين لدى مريدي الزوايا

دراسة ميدانية لمريدي الزاوية القادرية بورقلة

نوقشت وأجيزت علنا بتاريخ :

أمام اللجنة المكونة من السادة:

مليكة جابر/استاذ محاضر (ب) جامعة قاصدي مرباح ورقلة (رئيسا)

عبدالقادرخليفة/استاذ محاضر (أ) جامعة قاصدي مرباح (مشرفا و مقررا)

نبيل حليلو/استاذ محاضر (ب) جامعة قاصدي مرباح ورقلة(مناقشا)

السنة الجامعية **2014/2013**

الشـــــــــــــــــــــكر

أولا أشكر رب العالمين على تمكيني من الوصول الى هذه المرحلة من المسيرة العلمية

ثم

أسرتي الصغيرة

الأساتذة الكرام وخصوصا الأستاذ المشرف

مريدي الزاوية القادرية

الملخص

أريد بهذه الدراسة قياس تمثلات مريدي الزوايا من افكار و طقوس وممارسات و ذلك عن طريق النزول الى ميدان البحث المتمثل في مقر الزاوية القادرية بورقلة و عن طريق اتباع منهج البحث الاستكشافي و الملاحظة بالمشاركة تم صياغة بعض الاسئلة التي القيت الى المريدين المختارين على شكل مقابلة نصف موجهة وقد تم اختيار العينة اختيارا قصديا وتمثلت في ثماني مريدين.

على ضوء تلك الاجابات تم تحليل الخطابات الثماني ومن ثما تحليل مضامينها لنخرج في الاخير بالاستنتاج العام الذي يجيب على تساؤلنا الرئيس و منه استخراج اهم و اكثر التمثلات رواجا و شيوعا في الزاوية القادرية و الزوايا الصوفية عموما.

نتائج الدراسة كانت كالتالي :

– تمثلات مريدي الزاوية لشيخهم مؤسس الطريقة كانت في التبجيل و التقديس و التنزيه, كما يجمع المريدون بان بدون شيخ طريقة لا يستطيعون معرفة الله تعالى و الرسول صلى الله عليه وسلم ورضا الشيخ من رضا الله و الرسول.

– مريدي الزاوية لزيارة الاضرحة كانت في طلب بركة الولي تلبية حاجياتهم وذلك عن طريق التوسل لضريح الشيخ بان يقضي عنهم الحاجات سواء بتوصيل الدعاء الى الله كونه الاقرب منهم اليه او ان يقضي الولي بنفسه حاجيات المريد.

– تمثلات مريدي الزاوية للدعاء و الرجاء كانت في دعاء الله عن طريق واسط الا و هو الولي و ذلك بالقول:ياربي ببركة سيدي فلان ان تلبي لي حاجتي, بالإضافة الى الدعاء المباشر بالقول : ياسيدي فلان اعطني..

– تمثلات مريدي الزاوية للحضرة كانت الدعاء و التنشيد باستعمال الدفوف مع تحريك الاجسام بطرق مختلفة, وقد تتخلل هذه الجلسات احيانا مشاهد تتمثل في استعمال الات حادة ووخز الاجسام بها و اعمال خارقة اخرى.

قائمة المحتويات

الاهداء.....ا

الشكر.....ب

الملخص.....ت

قائمة المحتويات.....ث

قائمة الملاحق.....ج

المقدمة.....ح

الفصل الاول : المدخل العام للدراسة

الاشكالية.....02

أسباب اختيار الموضوع.....04

أهمية الدراسة.....05

أهداف الدراسة.....05

تحديد مفاهيم الدراسة.....05

الدراسات السابقة..... 12

صعوبات الدراسة.....14

الفصل الثاني : الاجراءات المنهجية للدراسة

المنهج المستخدم.....17

أدوات جمع البيانات.....19

حدود الدراسة.....21

اختيار عينة..... 21

الفصل الثالث : التحليل السسيولوجي لنتائج الدراسة

تحليل مضامين الخطابات.....27

الاستنتاج العام.....51

الخاتمة.....60

المراجع.....62

الملاحق.....66

قائمة الملاحق

ـ بطاقة المقابلة.

ـ أمثلة للمقابلات.

المقدمة :

يأخذ الدين ابعاد متنوعة نتيجة الاحتكاك الثقافي داخل المجتمع وبين المجتمعات وجلها ينظرون الى الدين على انه عقيدة و ان هذه العقيدة ملزمة للجميع ومع ذلك فان بعض الناس ينظرون للدين أنه مجرد ظاهرة اجتماعية وان كانت ترقى الى حد العالمية.

بغض النظر عن هذا الموقف او ذاك لا شك بان الدين يمثل مجالا من الانشطة و الاشكال و الرموز في منتهى الاهمية بالنسبة الى الافراد و الجماعات وكذلك الظاهرة الدينية تحمل في طياتها عناصر حيوية و تصورات محركة بعمليات النشاط في الميادين المختلفة, ونتناول هنا دراسة متعلقة بالظاهرة الدينية و تطورها ونبين من خلالها كيف اصبح الدين موضوعا للبحث السوسيولوجي.

لقد اصبحت الزاوية اليوم تشكل حيزا واسعا من حياة بعض افراد المجتمع الجزائري بصفة عامة ومرتادي الطريقة الصوفية بصفة خاصة, بحيث اضحت مصطلح يشكل ويجسد ظاهرة اجتماعية فرضت نفسها عبر مراحل مختلفة من خلال اجتهادات رواد مشايخها لتصل الى ما هي عليه الآن, فمكانتها اليوم بالنسبة لمرتاديها تعادل مكانة المسجد سواءا ما تعلق الامر بالجوانب الدينية و العبادة من صلاة وقيام ودعاء او ما تعلق بالجوانب البسيكولجية من راحة نفسية وشعور بالطمأنينة. ومن بين المصطلحات الملازمة للزاوية والذي اصبح هو الآخر يشكل مجالات واسعة للقيام بدراسات اجتماعية شدت مختلف الباحثين للدراسة والبحث في طياته مصطلح : الاولياء الصالحين.

ولا يتوقف الامر على كون الزاوية مكان يرتاده المريدين لزيارة ضريح ولي صالح فقد تعداها ليصبح مجموعة من الممارسات والطقوس التي افرزت العديد من التمثلات لمريدي الطريقة القادرية.

الفصل الاول : المدخل العام للدراسة

أولا : الاشكالية.

ثانيا : أسباب اختيار الموضوع.

ثالثا : أهمية الدراسة.

رابعا : أهداف الدراسة.

خامسا : تحديد مفاهيم الدراسة.

سادسا : الدراسات السابقة.

سابعا : صعوبات الدراسة.

أولا : الاشكالية :

تعتبر ظاهرة الطرق الصوفية من الظواهر الاجتماعية الجديرة بالاهتمام من حيث ثبوتها عبر الزمان والمكان, فحول موضوعها اشتغل الباحثون بكثافة بهدف استكشاف محتواها التركيبي و ألعقائدي لتعرف قدرا لا باس به من المداخلات في المناقشة العلمية حول ظهور عدة طوائف و جماعات وفرق اسلامية لكل منها منهجيتها و طريقتها الخاصة في التفكير و التعبير و تنظيم شؤونها, و بانتشار هذه الطرق الصوفية كان لزاما على اصحابها بان يقيموا مكانا خاصا لتثبيت افكارهم الصوفية لتقدم الى مختلف فئات المجتمع وكان المكان المخصص لهذه الطرق الصوفية محددا بحيز يدعى بالزاوية و هو معرف في المغرب العربي (بالرباط) و في المشرق العربي (بالخنقاة), وبها نظام خاص و برنامج يسير شؤونها فكانت بمثابة مراكز التعليم حيث فتحت ابوابها لطلاب العلم و انفقت عليهم.[1]

واذا ما نظرنا من الناحية الاجتماعية فنجد ان الطرق الصوفية عملت على ازالة الخلافات بين مختلف فئات المجتمع و فك النزاع بين العشائر و القبائل و ازالة الفوارق, و بذلك كثرت في المدن و الارياف الأضرحة, الزوايا و القباب التي تؤدي دورا اجتماعيا كإيواء العجزة و المساكين و الغرباء, ليكون بذلك الشيخ الذي يترأس او يمثل الطريقة الصوفية هو بمثابة المسؤول و الحاكم بين الافراد و الذي يفصل في جميع القضايا و الخلافات الاجتماعية[2].

ولقد تناولت الكثير من الدراسات تاريخ الطرق الصوفية, فمنهم من يرى انها مجتمع مغلق مبني على عصبية دينية قبلية و منهم من يرى انها فئة تشبه الجماعة الضاغطة تستند على الدين لتحقيق اهداف دنيوية في السياسة و المصالح الاخرى, ومنهم من يرى انها مركزا للإشعاع الروحي و العلمي ومنبعا للهدايا و الفضيلة و الاخلاق والقيم النبيلة وهناك من يرى بانها رؤية جديدة للدين تهدف الى ترسيخ تعاليم الاسلام و الدعوة او العودة الى السنة المحمدية في الحياة, و في المقابل هناك من يرى ان في زواياها اوكارا للبدع و الخرافات و بؤرا

[1] طارق كمال, اساسيات في علم الاجتماع الديني, مؤسسة شباب الجامعة, الاسكندرية, بدون طبعة, 2009,ص 6.5

[2] محمد احمد بيومي, علم الاجتماع الديني, دار المعارف الجامعية, الاسكندرية, ط2, 1994, ص9

للمفاسد و منبعا للعادات السيئة التي تشد الفرد الى الوراء, ان هذه الطرق الصوفية ظهرت في مختلف مناطق الجزائر ومنها الرحمانية و الهبرية و الشاذلية و التيجانية و القادرية ...الخ[3].

و هذه الاخيرة هي الطريقة التي اخترتها لتكون كمثال لاحد الطرق الصوفية المنتجة لتمثلات عديدة لدى المريدين لها, و الطريقة القادرية هي أحد الطرق الصوفية السنية والتي تنتسب إلى عبد القادر الجيلاني (471 هـ - 561 هـ)، وينتشر أتباعها في بلاد الشام والعراق ومصر وشرق أفريقيا. وقد كان لرجالها الأثر الكبير في نشر الإسلام في قارة أفريقيا وآسيا، وفي الوقوف في وجه المد الأوروبي الزاحف إلى المغرب العربي. ومؤسسها هوعبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله الجيلي الحسني، ولد بجيلان سنة 470 هـ التي تقع في شمال إيران حالياً على ضفاف بحر قزوين وقدم بغداد شاباً سنة 488 هـ، وتفقه على عدد من مشايخها. جلس للوعظ سنة 520 هـ، وحصل له القبول عند الناس، واعتقدوا ديانته وصلاحه، توفي وعمره 90 عاماً ودفن بالعراق سنة 561هـ[4].

ضمن عقلية الاسلاف في القرن السابع عشر كانت ظاهرة الاولياء الصالحين ظاهرة لا غبار عليها ان تمسكنا بظروف العصر الاول الذي كان العدل و الاستقرار السائد في المجتمع , اما في عصر العدوانية والفتن وغياب العدالة و المنهج الصحيح للدين فان ظاهرة الاولياء الصالحين دلالة على الازمة و الفراغ اذ من الثابت عموما ان التصوف يترسخ و يشتد عوده في الازمات وحين يدب الضعف و الوهن في كيان الدولة المركزية وتحدث المجاعات و الاوبئة والكوارث فيصبح تدخل الاولياء الصالحين آنذاك دليلا ضروريا لإعادة التوازن السياسي و الاجتماعي.

يمثل الولي المحور الاساسي في التصوف الحالي و الزاوية فضاؤها الاول و التمثلات و الطقوس معانيها الدينية, فظاهرة تبجيل الاولياء ترتبط الى جانب من التمثلات بضرب من التعبير الشفهي يأخذ اشكالا مختلفة فقد كانت هذه الظاهرة و لا تزال تمثل واقعا فكريا و عاطفيا انتج شكلا من الابداع تمثل في فن المدائح و التراتيل الدينية و ادب المناقب و الكتابات في الرد على المخالفين و المنكرين و ايضا القص الشعبي الذي يدور حول كرامات الاولياء و ما ينسب اليهم من الاعمال الخارقة و تحتل هذه القصص مكانة متميزة في التراث الشعبي .

[3] زيزاح سعيدة, الرحلة التاريخية لظاهرة الطرق الصوفية من المشرق الى المغرب, الملتقى الدولي حول الطرق الصوفية في ظل التغير الاجتماعي, قسم علم الاجتماع, جامعة عمار ثليجي, الاغواط, 19ـ20 افريل2009 .

[4] عبد الباقي مفتاح, اضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته, دار الهدى, عيد مليلة, الجزائر, 2008, ص 18.

و الولي كما هو متعارف عليه في المفهوم الشعبي (حيا كان او ميتا) قد حباه الله بنعمة القرب منه بحكم ما يتمتع به من علم ديني وخلق وورع و زهد و سلطان روحي و كرامات, وباعتقاد جمهور المريدين ان مخالفة الولي قد تعود عليهم و على اطفالهم باللعنة لنصل في الاخير الى ان الولى يحتل مكانة في اذهان فئة كبيرة من المجتمع فلا تكاد تخلو المدن و الارياف من ضريح تجد له اتباعا و مريدون يعتقدون بكراماته و خوارقه و يعبرون عن ذلك بالتوجه لزيارة ضريحه فتتجسد هنا تمثلات عديدة للولي لدى المريد.

ولفهم هذه الظاهرة قمنا بصياغة الاشكالية التالية :

- **كيف يتمثل مريدو الزاوية القادرية الاولياء الصالحين من خلال افكارهم وسلوكياتهم الطقسية ؟**

وقصد الاجابة على التساؤل الرئيسي ادرجنا مجموعة من التساؤلات الفرعية وهي :

- كيف يتمثل مريدو الطريقة القادرية شيخ الطريقة المؤسس من خلال الخطاب ؟
- كيف يتمثل مريدو الطريقة القادرية الولي من خلال زيارة الاضرحة ؟
- كيف يتمثل مريدو الطريقة القادرية من خلال الدعاء و الرجاء ؟
- كيف يتمثل مريدو الطريقة القادرية من خلال الذكر و المديح باستعمال الدفوف او ما يدعى بالحضرة؟

ثانيا : أسباب اختيار الموضوع :

لقد تم اختيار هذا الموضوع نظرا للعديد من المظاهر الملاحظة و المنتشرة فيما يخص هذا الموضوع وتمخضت بذلك العديد من الاسباب التي جاءت وراء اختياره, وتمثلت في :

- المعايشة الواقعية لعادات ومعتقدات المجتمع.
- الملاحظة المستمرة والمتكررة لتوجه الافراد نحو الاضرحة والتي تترك فينا انشغالات وتساؤلات عديدة حول الظاهرة.
- محاولة معرفة الدلالات لهذه الظاهرة ومدى تأثيرها على وعي الافراد.
- معرفة السر الكامن وراء استمرارية هاته الزيارات من وجهة نظر سوسيو انتروبولوجي.

- الفضول الدائم الذي طالما راودني حيال ظاهرة زيارة الاضرحة وتمثلاتها, وكيف ينظر اليها علم الاجتماع والأنثروبولوجيا.

ثالثا : أهمية الدراسة :

- طرح اشكالية المقدس و التمثلات الناتجة عنه تعتبر مسالة ضرورية نظرا لما ينتج عنها من قيم جماعية و فردية لم تكن متماثلة بين كل السلالات البشرية.
- يظهر هذا الموضوع مدى التداخل بين عدد من الاختصاصات و منها علم الاجتماع و الانثروبولوجيا وكذا المجال الروحي في الثقافة العربية الاسلامية؛
- يتيح لنا معرفة سبب استمرار الظاهرة و كذلك سبب عودة مظاهر الصوفية و بقوة في الاونة الاخيرة.
- الحث على المزيد من الكتابات و الابحاث التي تفسر هذه الظاهرة و ما شابهها من الظواهر.

رابعا :أهداف الدراسة :

- الجمع بين البعدين الزماني و المكاني للظاهرة وذلك من خلال شبه قراءة خاصة بين الرمز و المرمز و الاثر المادي للتمثل.
- احداث التكامل المنهجي بين علم الاجتماع و الأنثروبولوجيا من خلال الاستعانة بمناهج وطرق بحث هذين العلمين لإعطاء الدراسة بعد اعمق.
- المساهمة البسيطة في اثراء المكتبة الجامعية.

خامسا : تحديد مفاهيم الدراسة :

إن تحديد المفاهيم خطوة وضرورة هامة من ضروريات البحوث الاجتماعية، فتحديدها بدقة يعد بمثابة الطريق التي يسير وفقها الباحث، إلى جانب أنها تساعد القارئ على إدراك المعنى من المفاهيم الواردة في البحث

انطلاقا من اعتبارها جملة رموز لفضية وبناءات منطقية تمكن الباحث من حصر الإطار العام لموضوعه، وعلى هذا الأساس خصصنا هذا العنصر لفك تلك الرموز المحورية للدراسة مع الإشارة إلى أن اختيارها كان على أساس المفاهيم الرئيسية الواردة ضمن عنوان البحث وفيما يلي تعريف لتلك المفاهيم :

التمثل : هو نشاط ذهني و مسلك عقلي يتم به تصوير الاشياء في الذهن كالإدراك و التخيل و الحكم, بغية ادراكها, وما ينتج من هذا النشاط من صور حاصلة في النفس يتألف عادة مما يدعى بالظاهرة العقلية التي تحصل بها المعرفة و التي عن الظواهر الانفعالية و الوجدانية ,و التمثل اما حصول صورة الشيء في الذهن و اما ادراك تصور ماهيته و نوعه[5].

المدلول اللغوي للتمثل :

– التمثل من مثل، تمثيلا الشيء لفلان، أي صوّره له بالكتابة ونحوها كأنه ينظر إليه. وتمثيل الشيء شبهه به وجعله مثله.

– التمثل، من مثل له الشيء أي صوره له حتى كأنه ينظر إليه وامتثله أي صوره. ومثّلت له كذا تمثيلا، إذا صورته له بكتابة وغيرها. د .أحمد أوزي الطفل والمجتمع.

– التمثل في الفرنسية (représentation) مشتقة من الفعل اللاتيني repraesentare الذي يعني إحضار الشيء ومثوله أمام العين أو الخيال بواسطة الرسم أو النحت أو اللغة أثناء الكلام عن فنان أو كاتب.

بالنسبة A Giordan et De Vecchi التمثل بالفرنسية هو: conception ou constuct.

المدلول الاصطلاحي للتمثل :

– التمثل هو استحضار الأشخاص أو الأشياء إلى الذاكرة أو الذهن.

– يقول جورج دوهايمل : إذا كان عدد أصدقائك ثلاثة وعشرون فإن لديك ثلاثة وعشرون تمثلا.

– والجدير بالذكر أن التمثلات يمكن أن تتنوع بتنوع الوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه الفرد، وهكذا نجد فرقا واضحا بين التمثلات إذا انتقلنا من وسط قروي إلى وسط حضري، كما يمكن أن تختلف باختلاف المنشأ الاجتماعي للأفراد وانتماءاتهم الاجتماعية، وهذا ما جعل بعض علماء النفس يخوضون في تدقيق مفهوم التمثل.

[5] ساعد حميسي, حول حقيقة التصوف, مجلة جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاجتماعية, قسنطينة, مطبعة البعث, العدد12, 2002, 75.

– التمثل أو التصور في أعمال بياجي هو مجموع التصورات الفكرية التي تتكون لدى الذات حول الموضوع من خلال تفاعلهما المستور، فهذه التصورات هي بمثابة تأويلات تستند على عملية تلاءم مع خصائص الموضوع، وبعدها إلى استيعاب "المعلومات" الصادرة عن الموضوع في إطار البنيات الذهنية التي تشكلت في مرحلة ما من مراحل نمو الفرد/ الذات.

– ومن هنا يبدو أن البعد المعرفي للتمثلات هو البعد الأكثر أهمية من وجهة نظرنا الديداكتيكية، لأنها تشير إلى نوع من النظريات الشخصية التي تمنح للفرد/ المتعلم تفسيرا أو تأويلا للظواهر الملموسة أو المجردة[6].

المدلول الديداكتيكي للتمثل :

تعريف جان مين Jean Migne1970 : " يعتبر التمثل نموذجا شخصيا فهو كذلك عملية تنظيم لمعارف ومعلومات تهدف إلى حل مشكل معين(...) إن التباين بين التمثل والمفهوم العلمي لا يتشكل في درجة اختلافهما فقط، بل يكمن في كونهما نمطين مختلفين من المعرفة، فإذا كان الأول يتجسد في شبكة من العلاقات المعبر عنها بواسطة صيغ إجرائية، فإن الثاني يغلب عليه الطابع التصوري"[7].

تعريف أصطولفي Astolfi : التمثلات هي عملية فكرية صعبة بالنسبة للمتعلم، والتي تتوقف خصائصها على تنظيم المعارف في الذهن وعلى العوائق الخاصة بكل حقل معرفي للترميز الذي يكتسبه المتعلم انطلاقا من الوضعية التفاعلية الفردية[8].

تعريف دوفلاي (M) DEVELAY (1985) : " التمثلات هي الكيفية التي يوظف بها الفرد بصورة شخصية معلوماته السابقة لمواجهة مشكل معين خلال وضعية معينة"[9].

تعريف دوفيكي DEVICCHI 1989 : " التمثلات هي عبارة عن :

– بنية ضمنية STRUCTURE SOUS-JACENTE؛

– نموذج تفسيري بسيط ومنظم؛

– مرتبطة بالمستوى المعرفي والتاريخي وكذلك الاجتماعي–الثقافي للفرد؛

– شخصية وقابلة للتطور[10]؛

[6] piaget, représentation du monde et jugement morale chez l'enfant.

[7] Migne Jean ; représentation et apprentissage des adultes. Education permanente, N119, 1994- 2,p.p 11-31.

[8] عزام المصطفى، أهمية التصورات في التكوين الأساسي للمعلم، البصريات نموذجا، سلك تكوين مفتشي التعليم الابتدائي، نيل شهاد مفتش التعليم الابتدائي، يونيو 1997 ، ص 149

[9] DEVELAY .M . (1985), Conférence de Séminaire pour la didactique des sciences expérimentales ;B.E .L.P , RABAT .

[10] DE VICCHI.G .(1989), l'enseignement scientifique comment faire pour que ça marche ? Edition Paris,p.55

تعريف جيوردان ومرتينان GIORDAN ET MARTINAND 1991 : "التمثل هو نموذج تفسيري يبين الكيفية التي : ينظم بها المتعلم المعطيات؛ يفهم بها المعلومات؛ يوجه بها فعله".

تعريف كليمان (P) CLEMENT (1991) : "التمثل هو كل ما يعبر عنه الفرد شفويا أو بواسطة إنجاز، سواء كان طفلا، أو بالغا، قبل التعلم أو بعده، إزاء وضعية معينة"[11].

التمثلات عالم مفاهيمي تمتزج فيه المعرفة العلمية بمعطيات المذاهب الفكرية، والاتجاهات الاجتماعية، والأبعاد النفسية،والسيكولوجية...، كل هذه الأنساق تدعّم بواسطة الممارسات الاجتماعية التي يقوم بها الإنسان.

وإذا كان التحليل الذي يقوم به الباحث قصد التعرف في هذه التمثلات على ما هو مطابق للمعرفة العلمية أو ما هو من قبيل إفرازات البيئة الاجتماعية الثقافية فهذا لا يعني أن هذه البنيات العقلية منفصلة كما هو الشأن بالنسبة للذكاء الاصطناعي.

التمثلات ابتكار مفاهيمي ينفرد به المتعلم باعتباره منتوجا خاما لا يستنسخ واقعا أو يفيد نقل إنجازات على شكل نصوص أو رسوم أو خطاطات كانت متواجدة أصلا، لأن بإمكانه إعادة تأثيث معطيات سابقة ليضفي عليها طابعا جديدا. التمثلات ترجمة لجزء ضئيل من مخزون معرفي يتم استحضاره لمواجهة وضعية معينة.

وأخيرا فإن التمثلات قابلة للتطوير، وبما أنها بنية ضمنية، فأول مرحلة في هذه السيرورة التطورية، هي تحليلها قصد تفكيك العناصر المكونة لها وإيجاد أنماط التفاعلات بين هذه العناصر من أجل اكتشاف ما تختزنه من معلومات مضمرة، لما لها من دور فاعل يمكن استغلاله في سيرورة التحولات المعرفية التي ستطولها.

تعريف اجرائي : هو تصور الفرد حيال كيان مادي او معنوي.

الولي : مصطلح عربي يستعمل بين مسلمي إفريقيا وصفا للرجل المقدس الذي يعتقد أن له قوة خارقة يستطيع بها شفاء المرضى، وانه يضفي البركة، ويزور المسلمون الأفارقة قبور الأولياء للتبرك والصلاة فيها، كما

[11]- MARTINAND G et GIORDAN A , cite par le Gendre ,p 236

أنهم يعتقدون بوجود سبع طبقات متفاوتة الدرجات من الأولياء، وان عددهم دائما أربعة ألاف ولي، فكلما توفي ولي رفع الله احد الأتقياء إلى درجة الولي ليحل محله.

ويعرف الولي على انه : من تولى الله أمره بالخصوصية مع مشاهدة أفعال الحق سبحانه وصفاته، وقد يجهل الولي شيئا من أحكام الشريعة المطلوبة في حقه ولا يعرفها إلا بالتعلم والسؤال ولا تفاض من غير تعلم غلا على النادر من العارفين، ولا يحاط بمعرفة أحكام الشريعة و جميع العلوم التي يحتاج إليها الناس إلا الفرد الجامع لأنه هو الحامل للشريعة في كل عصر ولو كان أميا لم تسبق له قراءة[12].

والولي عند المتصوفة : كما جاء في الرسالة القشرية له معنيان، الأول أن يكون فعيلا أي هو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته، فلا يكله إلى نفسه لحظة بل يتولى رعايته عل التوالي ويديم توفيقه على الطاعات، والثاني أن يكون فعيلا مبالغة من الفاعل كالعليم، والقدير فيكون معناه من يتولى عبادة الله وطاعته فطاعته تجري على التوالي من غير أن يتخللها معصية فيكون ولي بمعنى توالي فضل الله عليه . وكلا المعنيين يجب تحقيقه حتى يكون الولي وليا بالقيام بحقوق الله على استسقاء والاستيفاء ويتحقق حفظ الله تعالى له في السراء والضراء .

التعريف الإجرائي لمفهوم الولي : هو الشخص الذي يعرف انه من عباد الله الصالحين، تميز عادة بصفات خارقة، يعلم أمور دينه ويعمل بها ، له كراماته الخاصة التي ميزته أثناء حياته، وتجعله يحظى بكثير من التقدير و الاحترام على ممر الأجيال[13].

التصوف : لغة : لم تعرف كلمة التصوف في لغتنا اشتقاقا واحدا يتفق عليه, اذ قيل انها مشتقة من صفاء القلوب وقيل انها مشتقة من الصفة او صفة المسجد, مكان في مؤخرة مسجد الرسول "صلى الله عليه و سلم " كان يجلس فيه متعبدون زهاد, او من الصف وهو اشتقاق مشكوك فيه و هو الصف الاول في المسجد او من اللفظ اليوناني " صوفوص" أي حكيم[14]. اما الاشتقاق الشائع او المعروف على حد قول ابن تيمية فهو نسبة الى لبس الصوف وهذا قول يؤيده ابن خلدون فيما بعد.

[12] شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا إنجليزي – عربي، جامعة الكويت، ط1، 1991، ص 612.

[13] أيمن حمدين، قاموس المصطلحات الصوفي، دراسة تراثية مع شرح إصطلاحات أهل الصفاء من كلام خاتم الأنبياء، دار قباء، القاهرة، 2000، ص96.

[14] الفرد بل, الفرق الاسلامي في الشمال الافريقي, ترجمة عبد الرحمان البدوي, دار الغرب الاسلامي, بيروت, الطبعة الثالثة, 1987, ص 374.

اصطلاحا : اذا كان الاشتقاق اللغوي قد تعدد فان التعريف الاصطلاحي سيزداد تعدادا و تنوعا وقد أحصيت في الرسالة القشيرية وحدها اكثر من خمسين تعريفا ركزت اغلبها على وصف الرجل الصوفي و سلوكياته حتى تكاد تتخلص في القول بان التصوف هو الاخلاق[15].

كما يقول ابن عجيبة ان التصوف هو صدق التوبة الى الله بما يرضاه ومن حيث يراه ولقد كادت كتب التصوف تجمع على انه صدق التوجه برا الله سبحانه و تعالى[16].

تعريف اجرائي : هو الغوص في فكر معين و ترجمته الى مواقف و سلوكيات.

الطريقة الصوفية : تعرف الصوفية لغة : الطريقة او السبيل او المنهج.

اصطلاحا : هي منهاج كل واحد من الاولياء و الطريقة و اوراده هي التي يلقنها الى تلاميذه هي السيرة و الطريقة ايا المختصة بالسالكين الى الله من قطع المنازل و الترقى في المقامات و يعرف" بديع الزمان سعيد النورسي" الطريقة الصوفية بانها سبيل الحقائق الايمانية و القرآنية ونيلها عبر السير و السلوك الروحاني بخطوات القلب وصولا الى حالة وجدانية وذوقية بما يشبه الشهود[17].

وذكر الامام الغزالي ان الطريق "الطريقة" اول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى[18].

المريد : مُريد وجمعها المُريدُون هو المتعلِّم على شيخ طريقة، والمُريد رتبة من رتب الصّوفيّة, وللمريد درجات وعليه أن يقرأ أوراد فياليوم والليلة يكلفها بها شيخه ليسير على طريقته في التصوف وذلك ضمن تربيته للمريد. وتختلف الطرق التي اتبعها شيوخ الطرق المختلفة في تربية مريديها. فقد يسلك بعضهم طريق الشدة في تربية المريدين فيأخذونهم بالرياضات العنيفة ومنها كثرة الصيام والسهر وكثرة الخلوة والاعتزال عن الناس وكثرة الذكر والفكر. وقد يسلك بعض المشايخ طريقة اللين في تربية المريدين فيأمرونهم بممارسة شيء من الصيام وقيام مقدار من الليل وكثرة الذكر، ولكن لا يلزمونهم بالخلوة والابتعاد عن الناس إلا قليلا.

[15] ساعد خميسي, نفس المرجع السابق, ص 77.

[16] السيد يوسف هاشمي الرفاعي, الصوفية والتصوف في ضوء الكتاب والسنة, الكويت, الطبعة الاولى, 1999, ص 33.

[17] سعيد عيادي, التنشة السياسية بين المدرسة والبيئة الثقافية, رسالة ماجستر, معهد علم الاجتماع, جامعة الجزائر, 1990-1991, ص 20.

[18] رابح بونار, المغرب العربي تاريخه وثقافته, دار الهدى, الجزائر, الطبعة الثالثة, بدون سنة, ص 84.

ومن المشايخ من يتخذ طريقة وسطى بين الشدة واللين في تربية المريدين، ولذلك قيل الطرق إلى الله الله على عدد أنفاس الخلائق[19].

تعريف اجرائي : هو فرد يقصد مكانا معينا بطريقة مستمرة و دائمة.

الزاوية : مأخوذة من الفعل انزوى, بمعنى اتخذ ركنا من اركان المسجد للاعتكاف و التعبد, وقد ادرك خلفاء المسلمين الاوائل حاجة المعتكفين الى هذا الانزواء و اصبحت في شكل دور او مساجد صغيرة يقيم فيها المسلمون المصلون ويتعبدون فيها ويعقدون بها حلقات دراسية في علوم الدين, كما يعتقد فيها مشايخ الطرق الصوفية حلقات الذكر[20].

و الزاوية كما يقول عنها الدجاني : "...المركز التعليمي للقبيلة, ففيها المدرسة القرآنية الت يتلقى فيها اطفال القبيلة العلم,و المسجد الذي تقام فيه الصلوات, وتلقى الدروس التي يحضرها افراد القبيلة"[21].

اما احمد بن نعمان فيحدد الزاوية على انها "مدرسة كبرى, تقع عادة في المناطق غير الحرية,وهي ذات نظام داخلي يتلقى فيها الطلبة دروسا لغوية ودينية وبع المبادئ في العلوم و الرياضيات..وتمول من املاك موقوف عليها من طرف بعض المصلحين"[22].

تعريف اجرائي : هي بيت او مكان يشبه المسجد تقام فيه الصلوات ويعقد فيه المريدين اجتماعاتهم اين يذكرون الله ويدرسون فيه العلوم الدينية كما تعتبر مأوى للفقراء و الضيوف ويتولى ادارتها مشايخ الطريقة الصوفية.

الطريقة : هي المسيرة و طريقة الرجل و مذهبه يقال: مازال فلان على طريقة واحدة أي حال واحد وفلان حسن الطريقة و الطريقة حال[23].

في القرن الثالث و الرابع الهجري كانت الطريقة عبارة عن منهج اخلاقي عدد عمليا ضروب السلوك الفردي وبعد القرن الخامس الهجري اصبح عبارة عن جملة مراسيم للتدبير الروحي المعول به من اجل المعاشرة

[19] من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B1%D9%8A%D8%AF

[20] حسن ابراهيم حسن, تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقلفي والاجتماعي, مكتبة النعهضة المصرية, القاهرة, الجزء الرابع, الطبعة الاولى, 1967, ص 423.

[21] سعيد عيادي, نفس المرجع السابق, ص 16.

[22] الصالحين الحفيفي, دور التعليم الديني في الحفاظ على التراث, مجلة جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية, قسنطينة, مطبعة البعث, العدد 23, 2004, ص221.

[23] ابن منظور, لسان العرب, المجلد العاشر, دار الطباعة والنشر, بيروت, ص 224.

في الجماعات الاخوانية التي بدأت تظهر منذ ذلك التاريخ و الطريقة في النظم الاجتماعية هي تسيد المنهاج في المجال الديني على شكل تنظيم هرمي لاتباع ذلك المنهج تحت توجيه رائد ملهم واشرافه يدين له اتباعه بالتعظيم و التعبئة الفكرية و الروحية ومن اشهرها في الثقافة الاسلامية الطرق الصوفية التي تعد بمثابة مدارس فكرية يجمع بين اتباعها اوراد و مناهج سلوكية و اساليب تعبدية يصعد عن طريقها المريد على سلم المقامات و الاحوال, وقد تكونت عدة طرق بالمشرق و المغرب العربيين كالطريقة الجيلالية نسبة الى عبد الرحمان الجيلالي, الطريقة الرفاعية و الطريقة الاحمدية نسبة الى احمد بدوي و الطريقة القادسية و السنوسية الرحمانية و غيرهم كثر, و لبع الطرق الصوفية تاريخ سياسي بجانب نشاطها الديني كالطريقة المهداوية و مؤسسها المهدي زعيم الثورة السودانية, كما ان لكل طريقة طابعها الخاص و بعض الطقوس التي تؤدي بها اذكارها و كم ادخلوا امورا اعدها بعض الفقهاء بدعا وكانت موضوع نقاش بينهم وبين الصوفية ولايزال للطرق الصوفية شانها و نفوذها لدى عامة الشعب في كثير من البلاد الاسلامية[24].

تعريف اجرائي : الطريقة منهاج يسلكه اتباع شيخ معين وهو نظام دقيق في السلوك الروحي يحيون من خلاله حياة جماعية في الزوايا و الرباطات و الخانقات, الطريقة التزام روحي و اجتماعي لمنهاج الشيخ الأصلي.

سادسا : الدراسات السابقة :

- دراسة **لكحل الهواري : مصادر التدين لدى الطلبة الجامعيين** لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع تخصص ثقافي بجامعة الجزائر العاصمة, و تهدف هذه الدراسة الى محاولة التعرف على الاسباب و المصادر الذي يستقي منها الشباب المعلومات الدينية اما الاشكالية التي انطلق منها الباحث كانت : ماهي العوامل او المصادر التي تؤثر في تدين الشباب الجامعي؟ و الفرضية هي : ان الاعلام الديني و البيئة الاسرية و جماعة الرفاق تمثل مصدر اول للتدين اما المنهج فقد **استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي** الذي ينطلق من الملاحظة و الاستمارة و المقابلة و قد اعتمد الباحث في دراسته هذه على الملاحظة و توصل الى النتيجة التالية : **يوجد ارتباط بين تدين الشباب الجامعي و المؤسسات الاخرى فالأسرة اتضح انها تمنح الادب و الاخلاق النابعة من العادات و**

[24] مذكور ابراهيم, معجم العلوم الاجتماعية, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, بدون طبعة, 1975, ص 511.

التقاليد اما جماعة الرفاق كان لها دور في تلقين تعاليم الدين المتجسدة خاصة في الكتاب الديني و حقيقة هذا التدين البحث عن ابعاد سوسيودينية[25].

- **احمد بن الشين,** مذكرة ماجستير **"الطريقة التيجانية بين الماضي و الحاضر"دراسة اجتماعية من خلال دراسة حالة زاوية عين ماضي بالأغواط** تناول الباحث في الرسالة اهم الطرق الصوفية في الجزائر نشأتها و انتشارها و ايضا الزوايا, ثم تناول الطريقة التيجانية المعروفة في الجزائر و التي تمتد الى السنغال و مؤسسها هو احمد التجاني و تناول الباحث في فصول الرسالة ظهورها و دورها بصفة عامة في خارج الجزائر و ذكر الباحث ان الطريقة التيجانية ليست مذهبا فقهيا واضح المعالم, وليست حزبا سياسيا يهتم بأمور الحكم, والطريقة التيجانية متواجدة في الجزائر كما في اقطار اخرى و مذهب التيجانيون هو مذهب البلد الذي يوجدون فيه, و مادة التربية المعتمدة في الطريقة هي القران الكريم و الذكر, و تناول الباحث دورها في الحقبة الاستعمارية و مواقفها في خلال المراحل التاريخية التي مرت بها الجزائر خاصة و المغرب العربي عامة و اعطى لمحة عن زاوية عين ماضي في الاغواط[26].
- دراسة **عبد العزيز راس مال :(الولاية, الرباط بين شرف الانساب و كرامة المناقب) دراسة الفضائل الروحية للسمحات اولاد سيدي احمد المجذوب, اولاد سيدي الشيخ, اولاد سيدي التاج,** نوقشت بجامعة بوزريعة كرسالة دكتوراه, وقد حاول الباحث اظهار مدى التداخل بين عدد من الاختصاصات في تطرقه لموضوع الكرامات, المناقب و الولاية, ومنها علم الاجتماع الديني و الانثروبولوجيا, وكذا المجال الروحي في الثقافة العربية الاسلامية, مبرزا ان طرح اشكالية المقدس و النسب تعتبر مسالة ضرورية, نظرا لما ينتج عنهما من قيم جماعية و فردية لم تكن متماثلة بين السلالات البشرية, و لكل منهما مسارها و تطورها في المستقبل, ومن ثم يرى ان هناك ضرورة لمراجعة الطرح التاريخي الذي يعتبر في الوقت الحالي مسالة بديهية حيث لاحظ ان هناك اسقاط غير مبرر لحوادث تاريخية ضعيفة السند والحجة على وقائع انثروبولوجية وسلالية بينما المنطق العلمي يقتضي ان نبدأ بأصول العائلات او المجموعات الاجتماعية, ويقترح من الناحية المنهجية ان يكون هناك مسح سوسيولوجي للتراث الاجتماعي في العالم العربي الاسلامي, بالأخص للتراث الجزائري لتتضح بذلك معالم الدراسة الميدانية, ووصل الباحث الى ان المعلومات و النتائج التي نتجت عن

[25] لكحل الهواري, مصادر التدين لدى الطلبة الجامعيين, رسالة ماجستير, غير منشورة, علم الاجتماع تخصص ثقافي, جامعة الجزائر العاصمة.

[26] احمد بن الشين, الطريقة التيجانية بين الماضي و الحاضر, دراسة اجتماعية من خلال دراسة حالة زاوية عين ماضي بالاغواط, رسالة ماجستير, غير منشورة, كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية, جامعة الاغواط.

الدراسة لا تعتبر هدفا في حد ذاتها, كما ان الطلبة و المهتمين بالعلوم الاجتماعية, و بالأخص بالتاريخ الاجتماعي التقليدي يجدون ما يلبي فضولهم, باعتبار ان الباحث يكتب عن التاريخ المسكوت عنه و الخفي, بخلاف المؤرخين المعاصرين الذين يكتفون بالوثائق الفرنسية, و لم يكلفوا انفسهم عناء البحث باستجواب الشيوخ الذين مازالوا يمثلون الذاكرة و سجلها[27].

- دراسة **تواتي خضرون : القيم الدينية للطرق الصوفية و التنشئة الاجتماعية**, دراسة ميدانية لعلاقة الاباء بالأبناء في الزاوية التيجانية, وقد تناولت الدراسة القيم الدينية كما عرجت على تاريخ حركة التصوف و الطرق الصوفية و الزوايا ثم التنشئة الاجتماعية و علاقة الاباء بالأبناء في الطريقة التيجانية ولقد كانت هذه الدراسة حول الزاوية التيجانية بعين ماضي بالأغواط تخصص علم اجتماع تربوي ديني[28].

سابعا : صعوبات الدراسة :

سجلنا في هذا البحث صعوبة الحصول والعثور على الأبحاث والكتابات المتخصصة سواء في موضوع الدراسة أو التخصص أما بالنسبة للجانب الميداني فهناك صعوبة التنقل لمقر الزاوية لبعدها عن محل الاقامة و صعوبة التعامل مع القائمين على الزاوية و الضريح او الاضرحة والممارسين لهذه الطقوس الذين يلفهم الغموض والكتمان والحيطة وأيضا عدم تجاوب المريدين بسهولة .

اثناء اجراء المقابلة واجهتنا بعض العراقيل والصعوبات والتي تمثلت في عدم تفاعل افراد العينة معنا وتهربهم من اجراء المقابلة مما استوجب علينا تغيير طريقة التحاور وجعل المقابلة مفتوحة وعفوية وحرة, وتحديدا مقابلة نصف موجهة وبعد الانتهاء من اجراء الثمان مقابلات مع اهم وابرز المريدين المواظبين على الطريقة تم تحليل الاجوبة تحليلا سيسيولوجيا.

كذلك سجلنا التوقيت المتأخر نوعا ما لموعد الجلسات الاسبوعية او الموسمية الخاصة بالزاوية وهي عادة ما تكون بعد صلاة العشاء مما استوجب المكوث و الملاحظة بالمشاركة حتى اوقات متأخرة من الليل.

[27] عبد العزيز راس مال, الولاية,الرباط بين شرف الانساب و كرامة المناقب, دراسة الفضائل الروحية للسمحات اولاد سيدي احمد المجذوب, اولاد سيدي الشيخ, اولاد سيدي التاج, اطروحة دكتوراه, كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية, جامعة بوزريعة, 2009/2008.

[28] خضرون تواتي, القيم الدينية للطرق الصوفية و التنشئة الاجتماعية, دراسة ميدانية لعلاقة الاباء بالابناء في الزاوية التيجانية, رسالة ماجستير,غير منشورة,معهد العلوم الانسانية و الاجتماعية, جامعة غرداية 2012/2011.

الفصل الثاني : الاجراءات المنهجية للدراسة

أولا : المنهج المستخدم.

ثانيا : أدوات جمع البيانات.

ثالثا : حدود الدراسة.

رابعا : اختيار العينة.

تمهيد :

تعتبر الدراسة الميدانية من اهم مراحل البحث العلمي و التي يمكن للباحث من خلالها جمع البيانات و المعلومات حول مجال بحثه ثم يقوم بتفريغ تلك البيانات و المعلومات و تفسيرها و تحليلها وفقا للأساليب المنهجية للحصول على نتائج تكون بمثابة اختبار للجانب النظري او المدخل العام,ويجب ان يكون هناك تكامل و تناسق بين شقي البحث النظري و الامبريقي ولو ان النظام الجديد الذي اعتمد في الجامعة الجزائرية يقلص من المساحة النظرية في الدراسة إلا انه لابد من وجود هذا التكامل بين كل ما ذكرنا و التحليل السوسيولوجي للنتائج ولعل هذا التكامل سوف يعطي للدراسة السوسيولوجية اكثر موضوعية و تكاملا للمعطيات اثناء تفعيل عملية الفهم و التحليل و التركيب بين متغيرات الدراسة و على هذا الاساس فان محاولة اي باحث لتقديم عمل بحثي ملم بجميع حيثيات المشكلة الاجتماعية(موضوع الدراسة), متوقف على وضع اطار منهجي مرتب ترتيبا منطقيا من اجل تقديم الحلول الواقية و الموضوعية لإشكالية البحث.

أولا : المنهج المستخدم في الدراسة :

لتحليل و تقصي أي موضوع ودراسته ينبغي على الباحث تطبيق منهج يتفق مع طبيعة الموضوع المراد دراسته ويعرف المنهج (بانه الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته لمشكلة من اجل اكتشاف الحقيقة و هو مجموعة من القواعد التي وضعها بقصد الوصول الى الحقيقة في العلم), (ويعتبر المنهج من الخطوات المنظمة التي يتبعها الباحث في معالجة الموضوعات التي يقوم بدراستها الى ان يصل الى نتيجة معينة), (و هو عبارة عن سلسلة من المراحل المتتالية التي ينبغي اتباعها بكيفية منسقة و منظمة). و المنهج المستخدم تحدده طبيعة الدراسة, فانه وتبعا لما تم التطرق اليه فان المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي من خلال الاسلوب الكيفي و هو الذي يتماشى مع طبيعة موضوع البحث وكونه يتلاءم مع طبيعة الدراسة ويصف لنا الظاهرة فهو اسلوب من اساليب التحليل المتركز على معلومات كافية و دقيقة عن الظاهرة او موضوع محدد من خلال فترة او فترات زمنية معلومة و ذلك من اجل الحصول على نتائج علمية ثم تفسيرها بطريقة موضوعية . ولقد وجدنا ضرورة لتسليط الضوء اكثر على تعريف المنهج الكيفي فجمعنا عنه المعلومات الاتية :

البحث الكيفي Qualitative Research : يعتمد البحث الكيفي على دراسة وقراءة البيانات والأحداث بأسلوب غير كمي، حيث لا يتم تحويل البيانات إلى أرقام كما في حالة البحث الكمي، وإنما يتم الحصول على النتائج من واقع ملاحظة وتحليل الأحداث والمواقف والصور والوثائق والاتصالات اللفظية وغير اللفظية.

ويتم القيام بالبحث الكيفي عادة في ظروف طبيعية، ومن ثم فإن الإطار أو السياق الذي تحدث فيه الظاهرة محل البحث يعتبر جزءاً من الظاهرة ذاتها، وهنا لا يقوم الباحث بأية محاولة لإدخال ضوابط تجريبية على الظاهرة محل الدراسة ، أو أن يتحكم في المتغيرات الخارجية المحيطة بها، ومعنى هذا أن كل جوانب المشكلة محل الدراسة يتم فحصها ودراستها.

ويعتمد البحث الكيفي على استخدام الطريقة الاستقرائية inductive methode في البحث والتي تقوم على أساس البدء أو التفكير بالجزء انتهى إلى الكل، حيث يبدأ الباحث من البيانات التي جمعها أو المشاهدات التي لاحظها ليصل إلى نتائج معينة، ويعنى هذا أن الفرضيات والنظريات تظهر أو تشتق من مجموعة البيانات أثناء عملية جمع البيانات وبعد تحليلها، يقوم الباحث هنا بفحص البيانات بغرض الوصف ومعرفة العلاقات

الافتراضية بين الظواهر، ثم يعود بعد ذلك إلى مجتمع الدراسة أو مكان تطبيقها ليجمع البيانات لاختبار الفرضيات. ويلاحظ هنا أن بناء النظرية طبقاً لمدخل البحوث الكيفية يتم خطوة خطوة وبعد فترة من الوقت ويتم جمع البيانات من خلال المقابلات والملاحظة، وتكون النظرية التي يتم بناءها مناسبة لمجال التطبيق في الوقت الذي تم فيه بناؤها، وتسعى البحوث الكيفية إلى تطوير المعرفة أو النظرية بأسلوب استقرائي كما أسلفنا ولكنها لا تختبر هذه النظريات من منظور ضيق.

ولا يمكن في ظل البحوث الكيفية اختيار عينات كبيرة الحجم حيث يكون عدد المفردات التي يجرى عليها التحليل قليلاً، ولا يتم اختيار عينات عشوائية في مثل هذه الحالات, بل يختار الباحث الأفراد القادرين والراغبين في تزويده بالمعلومات والذين يثق فيهم الباحث، أو الذين يعتبرون رواداً في مجال تخصصهم ولديهم معرفة خاصة عن الظواهر محل الدراسة. ويستخدم في جمع بيانات البحث الكيفي أساليب الملاحظة والمقابلات الشخصية والملاحظة، وقد يستخدم في جمع البيانات أثناء المقابلات قائمة استقصاء تحتوى عدداً من الأسئلة المفتوحة Open-ended questionnaire كما أن جمع البيانات يمكن أن يعتمد على المذكرات الشخصية والمفكرة اليومية Diaries والوثائق والخطابات والصور الفوتوغرافية, وفى بعض الحالات يتم الاعتماد على دراسة الحالة لجمع بيانات البحث الكيفي[1].

- متى يتم استخدام المدخل الكيفي في البحث ؟

يتم اللجوء إلى البحوث الكيفية عندما تكون هناك معرفة محدودة أو بسيطة عن مجال أو موضوع معين، وعندما يشك الباحث في المعرفة المتاحة في هذا المجال أو النظريات المتوفرة عنه، أو أن هذه النظريات يراها الباحث على أنها متحيزة، وعندما يكون سؤال البحث موجهاً أو يسعى لفهم أو وصف ظاهرة معينة أو حدث معين لا يعرف الباحث الكثير عنه أو تتوفر عنه معرفة محدودة، ومن هذا المنظور فإن جزء اً كبيراً من البحوث الاستكشافية (الاستطلاعية) يعد نوعاً من البحوث الكيفية ، ذلك أن البحث الاستكشافي يتم استخدامه عندما لا تتوفر معلومات كافية عن الظاهرة أو المشكلة محل البحث خاصة في حالة عدم توفر دراسات سابقة من قبل حول المشكلة محل الدراسة ونظراً لأن البحث الكيفي يعتمد في حالات كثيرة على دراسة الوثائق وتحليلها،

[1] محمد مسفر القرني, منهج البحث الكيفي و الخدمة الاجتماعية و العيادية, جامعة ام القرى.

فإن بعض البحوث الاجتماعية تعتبر نوعاً من البحوث الكيفية، حيث يعتمد البحث الاجتماعي في حالات كثيرة على دراسة الوثائق وتحليلها وجمع الحقائق منها وتركيبها ثم تفسيرها من أجل فهم الظاهرة[1].

ويلاحظ أن البعض ممن لا يفهمون الطبيعة أو المنظور المعرفي للبحث الكيفي يعتقدون أن البحوث الكيفية لا تتبع خطوات البحث العلمي المعروفة إلا أن هذا الاعتقاد خاطئ، لان هناك خطوات محددة ومعروفة لإجراء البحث الكيفي، هذه الخطوات تعتمد الطريقة العلمية في البحث، إلا أنها قد تختلف في بعض إجراءاتها أو طبيعتها عن تلك المعروفة في البحوث الكمية.

ويؤخذ على البحوث الكيفية صعوبة تعميم النتائج المتولدة عنها على الحالات المشابهة، كما أنها تتهم بعدم الموضوعية، بمعنى أن كمية وجودة البيانات وعمق التحليل، كل هذه الأمور تعتمد على قدرة الباحث على التحليل والاستنباط والقيام بكل ذلك بموضوعية، وهذا قد لا يتوفر لدى الكثير من الباحثين الذين يتصدون للقيام بمثل هذا النوع من البحوث.

هناك أمر آخر يتعلق بمدى جودة الدليل الذي تقدمه هذه البحوث، وهو أنها تدرس إدراكات الأفراد وتعتمد في التحليل على المواقف ، وهنا قد تكون تقارير هذه البحوث متحيزة ، وقد تتناقض نتائجها وتشبه هذه الحالة كما يرى كل من Field & Morse (1985) ان يدلى سبعة شهود في قضية واحدة بشهادات مختلفة, إلا أننا يجب أن نلاحظ أن البحوث الكيفية لا تبحث عن الموضوعية أو الاختلاف بين آراء الأفراد أو التقارير، وإنما المهم هو أن يكون هناك موضوعية في تسجيل إدراكات الأفراد كما تحدث تماماً ووصفها بشكل موضوعي دون تدخل من الباحث[2].

ثانيا : أدوات جمع البيانات :

تقنيات و ادوات البحث هي الوسيلة التي تمكن الباحث من الحصول على البيانات من مجتمع البحث وتصنيفها وجدولتها وتختلف هذه التقنيات والأدوات حسب الموضوع المدروس, كما ان علاقته بصورة او بأخرى بالمنهج المستخدم لذلك فإنها تستدعي الدقة في الاختيار, وبناءا على المنهج المتبع في الدراسة او في ضوء متطلبات الدراسة من الناحية الميدانية وأهمية الحصول على البيانات اللازمة التي من شانها ان تساهم الى حد ما

[1] نفس المرجع السابق.

[2] Field and Morse, Nursing Research, The Application of Qualitative Approaches. Aspen, Publishers, Inc., Maryland, 1985.

في نجاح الدراسة اذا ما تم تطبيقها بموضوعية وفاعلية, ونظرا لطبيعة الموضوع فقد اعتمدنا على ثلاثة تقنيات ولكن تركزت دراستنا على المقابلة. وتمثلت ادوات البحث فيما يلي :

أ/- **البحث الاستكشافي** : وتمثل اول خطوة في البحث وتشمل جمع المعلومات النظرية التي لها علاقة مع موضوع البحث وهي ذات اهمية بالغة بحيث تثري الدراسة والمصادر والمراجع ولذلك قمنا بزيارة المكتبات الجامعية كالمركز الجامعي بغرداية وجامعة عمار ثليجي بالاغواط والجامعة المركزية بالجزائر العاصمة ثم قمنا بزيارة مقر الزاوية القادرية وذلك من اجل جمع المعطيات وفي نفس الوقت اجرينا بعض المقابلات مع ابرز المريدين من اجل الوقوف على الابعاد التي طرحناها في الاشكالية.

ب/- **الملاحظة** : هي اداة هامة من ادوات جمع البيانات ومن الصعب ان نتصور دراسة جادة للسلوك الاجتماعي لا تلعب فيها الملاحظة دورا هاما ومما يزيد من اهميتها انها يمكن ان تستخدم في انواع البحوث الاجتماعية الكشفية والوصفية والتجريبية, وهذا ما لاحظناه عند الدخول الى حقل الدراسة حيث عاينا اهم تمثلات القداسة اثناء الممارسة الطقسية والتي تجلت في بعض السلوكيات كالغناء او المدح باستعمال الدفوف وذلك مع حركات معينة للجسم وأيضا زيارة الضريح وطرق خاصة للدعاء بالإضافة الى ملاحظة مضامين الخطاب للمريد اثناء اجراء المقابلة معهم بانها تحتوي على تمثلات عديدة للولي تتبع الطريقة القادرية.

ج/- **المقابلة** : تعرف بأنها الاداة التي تستخدم لدراسة سلوك فرد او مجموعة من الافراد والحصول على استجابة لموقف معين او لأسئلة معينة وملاحظة النتائج المحسوسة للتفاعل الجماعي او الاجتماعي. ولقد اعتمدنا على هذه التقنية لجمع بعض المعلومات لتدعيم الموضوع والاستفادة منها في التحليل وكانت مع ابرز المريدين على الزاوية القادرية من حيث الالتزام والحضور الدائم من حيث المكانة الاجتماعية او العلمية او السياسية وحتى الشعائرية[1].

[1] صلاح الدين شروح, منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية, دار العلوم, عنابة, الجزائر, 2003, ص ص 41 42.

ثالثا : حدود الدراسة :

1/ الحدود البشرية : تمثلت عينة الدراسة على عدد من مريدي الزاوية القادرية بالرويسات (ورقلة) وعددهم 08 مريدين وقد راينا بان تكون العينة ممثلة بهذا الرقم قصدا وهذا لتقسيم الثمن اسابيع وهي مدة البحث الميداني بمعدل مريد كل ليلة جمعة بعد صلاة العشاء زمن تجمع كم من المريدين وهذا بغرض التوصل الى نتائج ادق.

2/ الحدود المكانية : تم تحديد مجال الدراسة الميدانية بالزاوية القادرية الواقعة وسط مدينة ورقلة حيث تبعد عن مقر الولاية بحوالي 5 كلم وتبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 820كلم, اذ يقع مقر الزاوية القادرية في الجزائر وشمال افريقيا, والذي يوجد به ضريح مؤسسها محمد الطيب والمعروف باسم الشريف محمد بن عبد الله.

3/ الحدود الزمانية : بدأت الدراسة الاستطلاعية في شهر مارس 2014 فكانت لنا اول زيارة للزاوية القادرية بتاريخ 03 مارس2014 حيث لم نكن نعرف حتى مكان الزاوية وبفضل سكان احد المنطقة توصلنا الى مكانها, فكانت المقابلة الاولى مع احد المشرفين على الزاوية ثم وعن طريق معرفة اوقات حلقات الذكر وبعض المعلومات الاخرى عن نشاطات الزاوية تم النزول الى الميدان في 06 مارس 2014, واجرينا مقابلة مع ابرز ثمان مريدين ملازمين للطريقة وبعد ذلك تم التحليلي السسيولوجي لمضامين المقابلة.

رابعا : اختيار العينة :

للعينة دور كبير في نجاح البحث العلمي لذلك يتوجب ان يكون مجتمع البحث ممثلا ومتجانسا ويخدم اغراض واهداف البحث ولهذا يقوم الباحث باختيار العينة التي يحتاجها موضوع بحثه فطبيعة الموضوع واهدافه هي التي تحدد للباحث طبيعة العينة.

ويصعب تعداد القادريين في المنطقة لهذا اعتمدنا على العينة القصدية وذلك من اجل الاجابة على الاسئلة المطروحة في بحثنا فقصدنا مقر الزاوية وبالتحديد يوم الخميس بعد صلاة العشاء اين يجتمع جميع المريدين لأداء

الاوراد الخاصة بالطريقة فاخترنا ثمانية افراد عن طريق استعمال العينة الاحتمالية القصدية التي تستخدم عموما في الدراسة الاستطلاعية.

العينة القصدية Purposive Sample : ينتقي الباحث أفراد عينته بما يخدم أهداف دراسته وبناءا على معرفته دون أن يكون هناك قيود أو شروط غير التي يراها هو مناسبة من حيث الكفاءة أو المؤهل العلمي أو الاختصاص أو غيرها، وهذه عينة غير ممثلة لكافة وجهات النظر ولكنها تعتبر أساس متين للتحليل العلمي ومصدر ثري للمعلومات التي تشكل قاعدة مناسبة للباحث حول موضوع الدراسة[1].

يرتبط مصطلح العينة العمدية بالعينات غير الاحتمالية وقبل الخوض في ذلك أود أن اعرج إلى مصطلح آخر قريب مرتبط بمصطلح العينة العمدية وهو مصطلح العينة التعمدية او القصدية، هذا المصطلح يمكن أن نفهمه من الكلمة ذاتها، فالتعمد يمكن أن نُعرفه على أننا نتعمد دراسة مجتمع ما، وهذا راجع لأننا نحدد ذلك المجتمع مسبقاً، فمثلاً إذا أراد باحث إجراء دراسة على طلاب جامعة الملك سعود فهو هنا تعمد دراسة ذلك المجتمع، أي أن جميع الدراسات تعمد إلى تحديد مجتمع الدراسة مسبقاً وبالتالي فجميعها تتعمد المجتمعات الدراسية التي تنوي دراستها، وقد يكون ذلك التعمد غير مباشر ويتم ذلك عندما ترغب جهة ما إجراء دراسة فإن الجهة هي التي حددت مجتمع البحث وتعمدث دراسته ومن ينفذها لم يكن له يد في التحديد[2].

و بالنسبة لهذا البحث فقد تم اختيار العينة القصدية على أساس وجود صفة بارزة في الثمن افراد المختارين من ضمن المريدين للزاوية و هي صفة المواظبة المنتظمة و المستمرة.

[1] . عبد الرحمن عدس وذوقان عبيدات وكايد عبد الحق: البحث العلمي: مفهومه- أدواته- أساليبه، الرياض: دار أسامة للنشر والتوزيع، طبعة مزيدة ومصححة ومنقحة، 2004م.

[2] http://www.ejtemay.com/showthread.php?t=4418.

خلاصة :

بعد ما تطرقنا اليه في الفصل الثاني من اجراءات منهجية للدراسة تمكنا من معرفة المنهج الانسب لموضوع الدراسة و المتمثل في المنهج الكيفي او القصدي و ذلك باستعمال ادوات جمع البيانات من بحث استكشافي, ملاحظة و مقابلة و التي مكنتنا من جمع المعطيات اللازمة التي من شانها الالمام بمختلف جوانب موضوع البحث.

لقد حددت الدراسة بحدود بشرية و مكانية حيث تمثلت الاولى بثمانية مريدين تم اختيارهم على اساس المواظبة و التردد المنتظم الى الزاوية بالإضافة الى امتلاكهم قدر معقول من المعرفة الصوفية, و تمثلت الحدود المكانية بمقر الزاوية القادرية بمدينة ورقلة بالرويسات.

تم اختيار العينة القصدية او العمدية و ذلك تماشيا مع طبيعة الدراسة الكيفية التي تتطلب مثل هذا النوع من العينات.

الفصل الثالث : التحليل السسيولوجي للنتائج.

أولا : تحليل مضامين خطابات المريدين.

1- تمثلات المريدين لشيخ الطريقة القادرية المؤسس.

2- تمثلات المريدين لزيارة الاضرحة.

3- تمثلات المريدين للدعاء و الرجاء.

4- تمثلات المريدين للحضرة.

ثانيا : الاستنتاج العام .

تمهيد :

من خلال كل المعطيات السابقة يتم في هذا الفصل استخلاص جل التمثلات المتعلقة بالولي او شيخ الزاوية و كذا زيارة الضريح بالإضافة الى تمثلات الدعاء و الرجاء والحضرة, ولقد تم تنظيم و تقسيم العمل حسب الاربع اسئلة الفرعية على ان يشمل كل عنصر مريدي الزاوية المبحوثين , وهذا لتجسيد قياس التمثلات الناجمة عن الزوايا و الاولياء الصالحين لدي المريدين و كان العمل على النحو التالي :

أولا : تحليل مضامين الخطابات

1: تمثلات المريدين لشيخ الطريقة القادرية المؤسس :

من خلال المقابلات التي اجريت مع المريدين تم رصد العديد من التمثلات المتعلقة بشيخ الطريقة القادرية المؤسس و كذا مفهوم الشيخ و الولي عموما, ومن خلال المقابلة النصف موجهة استطعنا تحليل مضمون الخطابات و التي جاءت على النحو التالي :

في المقابلة رقم 01 :

يقول عبد الجليل بانه ورث الانتساب الى الطريقة القادرية عن والده الذي كان بدوره يرتاد الى الزاوية لذا فان المحيط الاسري يلعب الدور الاساسي في بث اولى جرعات الادمان نحو ارتداء الذهاب الى الزاوية رغم ان عبد الجليل اضاف بان صديقا له كان قد شجعه على المواظبة و الانتساب الكامل لهذه الطريقة الصوفية فكذلك نجد بان الجماعة تقوم بالضغط المنوط بها لجره الى الفكر الصوفي .

بما ان عبد الجليل تجرع منذ نعومة اضافره الذهاب و الارتداء الى الزاوية و كذلك المحيط الخارجي الذي يشجعه على ذلك نجد بان عبد الجليل مواظب على الطريقة القادرية.

يصرح عبد الجليل حينما سالته عن شيخ الزاوية المؤسس و ما الذي يمثله له بان هذا الاخير يعود نسبه الى الاشراف (على حد قوله) وهم من سلالة اهل البيت و تحديدا من سلالة الحسين ابن الصحابي الجليل علي ابن ابي طالب رضي الله عنه.

كما يجزم و بكل قناعة عبد الجليل بان الشيخ المؤسس له كرامات بل و لكل ولي كرامات وان الكرامات قد تظهر حتى عند الانسان العادي المطيع و القريب الى الله وقال عبد الجليل قولا كان قد نسبه الى الشيخ الشعراوي رحمة الله عليه و الذي يقول :الاستقامة خير من الف كرامة..., ثم ختم عبد الجليل حديثه عن هذه الجزئية بان قال : كثرة المريدين للشيخ المؤسس و لطريقته هي احدى الكرامات التي وهبها الله اياها.

يرى عبد الجليل بان لابد من المسلم بان يكون له شيخ حيث عدم وجوده في حياة المسلم او الانتماء الى طريقة صوفية ما يعد ذلك الشخص غير مرتقي في اسلامه او في ايمانه حيث يقول عبد الجليل بان المتصوف هو ارقى و اسمى من الغير متصوف عند الله و هذا الفكر ليس بجديد فلطالما اصطدم هذا الفكر بالفكر الوهابي

المضاد له و الذي ينكر كل افكار التبجيل و التعظيم من غير الله تعالى و هذا ما سيتطرق له عبد الجليل لاحقا من خلال الحوار الذي جرى بيني و بينه بل وراح عبد الجليل الى ابعد من ذلك اذ افصح بانه لا يمكن للمؤمن بان يصل الى درجة الاحسان الا عن طريق اتباعه لإحدى الطرق الصوفية و ان الذي يفعل ذلك تنقلب اعماله العادية الى اعمال عبادية و ذلك عن طريق نية الفرد وضرب عبد الجليل عدة امثلة كالأكل بغرض التقوى للعبادة و الزواج لغرض طلب العفاف و تحصين النفس ...و غيرهم و هذا ما درسناه في المؤسسات التعليمية الحكومية و لم يقال لنا سابقا باننا يجب ان نتبع طريقة صوفية ما حتى نتمكن من فعل هذا .

من خلال بعض الاسئلة السابقة التي قصدت منها التأكد من الانتماء و الولاء الفكري قبل البدئ الى الطريقة القادرية بالنسبة الى عبد الجليل اتضح جليا بان هذا الاخير منصهر انصهارا تاما بأفكار التصوف عامة و بمنهج شيخه خاصة و هذا ما سهل الخوض في طبيعة التمثلات الناجمة عن كل هذا الولاء او ما اصطلحت عنه ب (الانصهار الفكري) للطريقة الصوفية القادرية ومن الملاحظ كذلك كإحدى الجزئيات الجوهرية و المهمة في هذا الفكر عامة بان المتصوفة يأخذون النص الديني سواء كان قرانا ام حديثا قدسيا و يقومون بتفسيره و تحليله بما يضمن لهم مصداقية افكارهم ومعتقداتهم من امور التبجيل و التعظيم فعلى سبيل المثال و اثناء حواري مع عبد الجليل هذا الشاب الطيب الذي لم يبخل بالبوح الصريح بما يجول في خاطره و عندما تذكرنا سوية تلك القصة التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و هي في مدونة في الصحيحين مسلم و البخاري حينما دخل اعرابي على مجلس رسول الله و سال: ما الاسلام ؟. فرد النبي بان سرد له اركان الاسلام فقال الاعرابي : و الله لن ازيد عن ذلك فالتفت و غادر المجلس و خلال مغادرته اشار الرسول بان الاعرابي احد سكان الجنة ان صدق و طبق هذا الاعرابي الذي كان على ما يبدو وحسب تحليلي الشخصي المتواضع كان براغماتيا الى ابعد الحدود فقد سال على الفعل فتلقى الجواب الصريح فعزم على التطبيق بدون اي تعقيد فلو شاء الرسول لأجلسه لساعات او كلف شيخا يرافقه ليعلمه الاسلام ..و للعودة الى تحليلنا لخطاب عبد الجليل نجد بان الفكر الصوفي الذي يتبناه كغيره من المريدين مليء بالتمثلات و الافكار التي تتخذ من الدروشة و التبجيل التقديس و احيانا كثيرة اللامنطق احدى مسلماتها.

غير ان عبد الجليل فسر موقف الرسول بطريقة مغايرة دائما حسب ما يخدم اتجاهاتهم الفكرية اذ قال: لقد خاطب الرسول الاعرابي على حسب مستواه فلم يخاطب الرسول بنفس الطريقة علي بن ابي طالب مثلا او عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما ولكن عبد الجليل لم يتفطن بانه وضع الحجة على نفسه بهذا الرد حين اقر

بان الاعرابي دون مستوى احد الصحابى و بشره الرسول بالجنة فالدين الذي استطاع التفاعل مع ابسط المستويات لخير دليل على انه دين واضع و بسيط و ملازم لمنطق العقل البشري ولا يتطلب واسطة ايا كان قدره بين الله عز و جل وبين عبده.

لذا فعموما المتصوفة كمثل عبد الجليل يتلقون من شيوخهم تفسيرات وتحليلات للخطابات الدينية بما يخدم فكر او اتجاه معين كما ان من الملاحظ وجود معظم مقرات الزوايا في الأحياء الشعبية فالبيئة هنا هي بمثابة الدينامو الذي يغذي انتشار و ديمومة وسيرورة مثل هذه الافكار ورغم ان عبد الجليل ذو مستوى جامعي الا ان مستواه التعليمي لم يحول دونه و تلك الافكار من تبجيل و تقديس وطلب للشفاء عند الاضرحة وبالرغم من اقرار اولئك الذين هم كمثل عبد الجليل بان الرجاء لله وحده و ان الله هو الشافي و المعافي الا ان تصرفاتهم تنافي هذا الحديث اجمالا متخذين عبارة : (كل حسب نيته) كدرع لوقف الانتقادات التي توجه لهم فهل ترك القران و السنة النبوية الشريفة شيئا غامضا يجعلنا نبحث عن ضالة يريد المتصوفة ان يوهموننا بانهم الوحيدين المؤهلين لوجود هذه الضالة دائما ...لا اعتقد باننا بحاجة الى مشايخ و طرق عديدة اذا اتبعنا الكتاب و السنة.

في المقابلة رقم 02 :

عبد الرؤوف ورث الطريقة عن اجداده و قد قالها صراحة حيث ان اجداده كانوا ينتسبون الى الطريقة التيجانية و الرحمانية, عموما فان عبد الرؤوف ورث التصوف ابا عن جد.

شيخ الطريقة هو قدوى يقول عبد الرؤوف يعتبر واسطة في تلقي معارف السلوك و الدلالة على الله عن شيخه عن شيخه عن شيخه الى غاية الوصول الى الرسول محمد صلى الله عليه و سلم و هو اب في السلسلة الروحية كما هو واصلة نسب الى سيدنا ادم.

و يضيف عبد الرؤوف بان :كون الصالح صالحا لا بد من ظهور كرامات و خوارق هي ليست من الجنس نفسه لتلك التي تظهر على غيرهم من السحرة و المشعوذين, و ليس بالضرورة ان يكون صالحا لتصبح لديه كرامات و هنا ظهر تناقض في كلام عبد الرؤوف فكون الصالح صالحا تظهر اوتوماتيكيا خوارق و كرامات و ليس بالضرورة ان يكون الرجل صالحا لتظهر الكرامات .

الاستقامة هي خير من الف كرامة يقول عبد الرؤوف هاته المقولة التي يشترك فيها كل المريدين الذين قابلتهم و لكن عبد الرؤوف نسبها الى شيخه المؤسس على غير نظيره عبد الجليل مثلا الذي نسب هاته المقولة

الى الشيخ الشعراوي رحمه الله و هذا ما يدعم فكرة تأويل و تحليل الخطابات الدينية لخدمة افكار و اتجاهات معينة و يضيف عبد الرؤوف :الكرامة المعنوية هي الاستقامة ظاهرا و باطنا فأما الكرامة الحسية لا يلتفت اليها فهي من جنس المداعبات بين الله و احبابه.

لا اظن البتة بان مصطلح المداعبة يصلح بان يستعمل كصفة تعامل بين الله و عبده فحاشاه العزيز المتكبر ذو الجلال و الاكرام.

يضيف عبد الرؤوف : يجب تقديم الولاء لمن دلك على الله تعالى و يجب ان تعبر دائما من خلاله الى الله تعالى اعترافا بالجميل الذي صنعه لك كونه دلك و عرفك بطريق الحق, و النموذج المحمدي هو ذلك الشيخ الذي يعلمهم في الزاوية يقول عبد الرؤوف وبان لب الكرامات هو الخلق و ان موضوع الكرامات هو موضوع قد ضخم حوله و يضيف عبد الرؤوف بان رؤية الله في المنام واردة و لكنها لم ولن تكون في اليقظة.

في المقابلة رقم 03 :

هو احد مريدي الطريقة القادرية المواظبين منذ اربع سنوات و هو يقول بانه تعرف على الطريقة عن طريقة المحيط و البيئة الاجتماعية التي يقطن بها رغم انه يصرح بان والداه يقران و يسلمان بالأولياء الصالحين و التصوف ,اذا فان الطيب نستطيع القول بانه وجد عوامل مساعدة على انتهاج الفكر الصوفي من بينها التزكية العائلية و المحيط او الجماعة الضاغطة.

و اما عن تمثلات الشيخ المؤسس للطريقة القادرية الشيخ عبد القادر الجيلاني يقول الطيب : نحن نتعامل بمبدأ التسليم ابا عن جد اذ اننا نسلم بكل الامور المتعلقة بشيوخ الزوايا ولا نعرف الانكار عليهم ابدا و دون ان نبحث عن تاريخ أي منهم و بالنسبة لعبد القادر الجيلاني فيكفينا شرفا انه من ذريته صلى الله عليه و سلم كونه ينحدر من احد ابناء الصحابي الجليل علي بن ابي طالب الحسن او الحسين ويضيف كذلك الطيب الذي بدى مقتنعا وواثقا بما يقول بان كرامات الشيخ الجيلاني تروى وفودا عن وفود و ان احدى الكرامات التي رويت عنه يقول الطيب : دعي الشيخ الجيلاني الى العشاء من قبل مريديه و محبيه وكانو يفوقون العشر في ليلة واحدة ولما جاء الغد راح كل مريد يروي عن تناول العشاء مع الجيلاني فقد كان عندهم كلهم في وقت واحد كذلك يروي الطيب بان : في يوم خرج الجيلاني من المسجد فكاد ان يمر على مجموعة من الناس فقال احدهم في نفسه كيف يمر الشيخ الجيلاني و لا يلقي السلام و ما ان اتم ذلك الشخص الحديث مع نفسه حتى اتجه

الجيلاني نحوهم مسلما و قال له هاذا الذي كنت تسال عنه فقد اطلع على قلب ذاك الشخص و هذا ما يتنافى و تعاليم الاسلام حيث اننا نجزم نحن ونسلم بان لا احد يطلع على القلوب الا خالقها و لا يكون ذلك الا وحيا من عند اله وقد انقطع الوحي مع خاتم الانبياء (صلى الله عليه و سلم), لذا فان التلقين و الاقناع عن طريق تهيئة البيئة التي تخاطب الروحانيات تجعل تصديق مثل هذه الامور سهلة و سلسة بالإضافة الى الجهل الكبير بحقيقة هذا الدين يجعل من السهل تسريب مثل هذه الامور الخطيرة لأذهان الناس سهل جدا و بث عقلية الاساطير في الدين الاسلامي.

عندما سالت الطيب عن الاضافات التي يلمسها في شخصه كونه مريد للطريقة يقول :ان الشخص الغير منتمي للطريقة يسلك طريق غير محروس جيدا من إغراءات الشيطان و انه قد يتعرض لانزلاقات عديدة, اما في طريق التصوف و اتباع شيخ ما يكون بذلك قد اتبع طريق مضمون لا خوف عليه من ابليس و اتباعه و يضيف الطيب بان :هناك نوعان من الناس الذين لا يتبعون التصوف هما, اناس يجهلونه و اناس ينكرونه.

في المقابلة رقم 04 :

الافلح يقول بان انتسابه للطريقة القادرية كان وراثيا بحتا حيث انه ذكر بان اجداده من كلا والديه كانوا يرتادون الى الطريقة القادرية و هو يكمل مسيرة اجداده في اتباع التصوف و الطريقة القادرية خصوصا بما ان الافلح وراثي التصوف فانه مواظب باجتهاد كبير.

اما عن اعتقاد الافلح بشيخ الزاوية المؤسس الشيخ عبد القادر الجيلاني فهو يقول : نحن لم نرى شيخنا الجيلاني و لكننا بدخولنا تحت ورده و هي عبارة عن اذكار تحفظ عن ظهر قلب نكون قد اتصلنا به و بمجرد حفظك و تمكنك من الورد فانت منتمي للطريقة القادرية و بالنسبة لتمثلات اخرى لشيخ الطريقة لدى الافلح فانه يعتقد بشدة بان الوصول الى الله تعالى و معرفته حق المعرفة يجب ان تمر على مراحل و هي معرفة الشيخ الجيلاني ثم عن طريقه معرفة الرسول (صلى الله عليه و سلم) و من ثما معرفة الله عز و جل, و يقول الافلح : شيخنا الجيلاني كالباب يدخلك على حظرته صلى الله عليه و سلم و منه يدخلنا الرسول الى باب الله عز و جل و كما ان الافلح يقر بعدم وجود شراكة مع الله و لكن وجود الاتصال الغير مباشر مع الله ليس من مبادئ الدين الاسلامي فنحن المسلمون نتفق بان الوصول الى اله عز و جل يكون مباشرا فهو قريب جدا من عباده ,ويبدو ان هذه التمثلات واردة لدى جل المريدين و هي من المسلمات التي يقتنع بها المتصوفة و مريدو

الطريقة القادرية بشكل خاص ومن بينهم الافلح و يشترك هؤلاء في نوعية تحليل الخطاب الديني و التصورات التي حصلت عليها من طرف اغلب المريدين.

في المقابلة رقم 05 :

يقول اسماعيل انه يحكى له من طرف ابويه بان اجداده كانوا يتبعون مختلف الطرق الصوفية, الا ان والدا اسماعيل ليسا من المواظبين المجتهدين رغم انهما يعتقدان بالاعتقادات ذاتها وسلالة العائلة, فالأرجح هنا ان اسماعيل ورث ذلك الفكر من البيئة المحيطة به الامر يتشابه هنا مع معظم المريدين الذين اجريت معهم المقابلة, فأحد العوامل الرئيسية في الجذب نحو الديمومة في اتباع الطريقة الصوفية عموما والقادرية بالرويسات بمدينة ورقلة خصوصا هو العامل الوراثي.

"اولياء امتي كأنبياء بني اسرائيل", "وما كانت معجزة لنبي يجوز ان تكون كرامة لولي", "والعلماء ورثت الأنبياء" هم الاقوال والعبارات التي استهل بها اسماعيل حديثه حين سألته عما يمثله له شيخ الزاوية ان كان ذو خوارق وكرامات ام هو شخص صالح عادي, ثم اتبع هاته العبارات بقوله : "نحن عندنا الشيخ المؤسس هو كل شيء والملاحظ من سمات وجهه وطريقة تلفظه للعبارة الاخيرة بانه مقتنع الا ما لا نهاية, كما اضاف اسماعيل قائلا حين سألته عما تضيفه له الزاوية كمسلم قال : " هناك اهل البيت ثم الرسول صلى الله عليه وسلم ثم الله عز وجل" مشيرا الى التدرج في الوصول الى الله تعالى ورغم ان الدين الاسلامي واضح وصريح وينفي اي وساطة بين الله وعباده الا ان اسماعيل كان تصوره اتجاه الرسول الكريم وأهل بيته الشرفاء على انهم الوسيط بين العباد والله عز, وربما يتذكر اسماعيل ونتذكر نحن جميعا الحديث الذي سمعناه ان احدهم طلب من الرسول صلى الله عليه وسلم ان يضمن له الجنة ويدعو له الله بذلك فأجابه رسول الله بالإيجاب ولكنه قال : " اعني بكثرة السجود اي (الصلاة)", وهذه دلالة واضحة وصريحة بان العدالة الالاهية تفرض بان تجني كل نفس ما قدمت والحصيلة هي التي تقرر الجنة او النار.

يرى اسماعيل عموما عندما واصلت طرح الاسئلة عليه التي اود من خلالها التأكد من انتمائه وانتسابه للطريقة القادرية من خلال استنزاف مخزون الافكار التي يعتقدها والمعلومات التي يجمعها اتجاه التمثلات الفكرية الناجمة عن طريق اتباع الطرق الصوفية والقادرية بصفة خاصة انه لابد من تمجيد وذكر اهل البيت ثم شيوخ الزاوية والشيخ المؤسس بالتحديد حتى يطمئنوا بان الله عز وجل راض عنهم كونهم يرضون الاولياء الصالحين,

فعلى حد قول اسماعيل ان المشايخ هم من يوصلون الى معرفة الله عز وجل و الرسول صلى الله عليه وسلم يضيف اسماعيل.

في المقابلة رقم 06 :

وهي احدى الحالات غوصا في التمثلات و كغيره من المريدين ينتسب الزبير الى الطريقة وراثيا عن طريق المحيط العائلي لينتقل الى محيط الرفاق كما ان مستوى الزبير الذي لم يسمح له بدخول الجامعة و اتمام دراسته ساعد كثيرا في ملئ ذلك الفراغ باتباع الطريقة القادرية و الفكر الصوفي عموما كردة فعل او ما يشبه الانتقام من ذلك الفشل لذا فان التنشئة الاجتماعية للزبير ومن ثم جماعة الرفاق بالإضافة الى عامل الرسوب المدرسي كلها عوامل ساعدت الزبير بتشرب الفكر الصوفي.

الزبير مريد مجتهد و مواظب بكثرة في الزاوية القادرية و هو يقول بان : الشيخ المؤسس عبد القادر الجيلاني شريف من سلالة اهل البيت وان عبد القادر قد قال بانه هناك ما تعلمون وما لا تعلمون وانا —يقصد نفسه– مما لا تعلمون و يعتقد الزبير بشدة بان عبد القادر الجيلاني له كرامات و خوارق وهو ليس شخصا صالحا عاديا اذ انه يمتلك درجة قرابة من الله تتمثل و تتجلى في تلك الكرامات و الخوارق التي وهبها الله اياها ,ويقول الزبير : ان الزاوية القادرية بالنسبة لي هي المنهج الذي اتبعه في حياتي و هي تمثل لي كل شيء كما اني احول من خلالها كل افعالي الدنيوية الى دينية و هي تمثلات فكرية واضحة من طرف الزبير.

في المقابلة رقم 07 :

الهاشمي احد المريدين القادريين والمواظبين على المجيء الى الزاوية وقد صرح ان انتمائه للطريقة القادرية جاء عن طريق الجماعة التي كان يلازمها دوما خارج العائلة ومع ان والدا الهاشمي لم يكونا منتميان الي اي طريقة الا انهما كانا مسلمين للفكر والمنهج الصوفي, اذ ان ابوا الهاشمي ورثا التصورات الفكرية الصوفية عن ابائهم ومحيطهم وهذا ما ساعد الهاشمي على تقبل ضغط الجماعة المنتمي اليها بسهولة كون الارضية الفكرية كانت خصبة بالإضافة الى الفراغ الدراسي الذي عانا منه الهاشمي بعد رسوبه في السنة النهائية الثانوية وعدم تحصله على شهادة البكالوريا حيث ساعد هذا الفراغ الدراسي على التفرغ للتشبع بالأفكار الصوفية داخل الزاوية.

عن اجابة الهاشمي حين طرحنا عليه سؤال عما اذا كان شيخ الزاوية المؤسس وهو عبد القادر الجيلاني يمثل له الشيء الكثير جاوب قائلا : هو قدوة وبعد ذلك كل شخص كما يحلو له كيف يتمثله..., ويبدو ان الهاشمي لا يهمه كثيرا رموز وثوابت الطريقة الصوفية التي يدعي انه ينتمي اليها حيث انه لم يبدي اي اهتمام للحديث عن شيخه الاول عبد القادر الجيلاني حيث اكتفى بالقول انه قدوة وهذا ما بقي راسخا في ذهنه نتيجة تداول هده الكلمة عند اغلبية مريدي الطريقة في الجماعة التي ينتمي اليها.

ان حالة الهاشمي واضحة جدا حيث انه خضع لهذا الفكر والتوجه وهو ليس مقتنعا تماما به بل هو اتجاه ناتج عن فراغ في حياته, وبما ان الهاشمي يبدو انسانا طيبا فقد مال اكثر الى ملا هذا الفراغ بالتصوف بدلا من اشياء اخرى سيئة, والهاشمي يقول ان : الزاوية تعبد الطريق لسلك اتجاه الصلاح والعبادة الصحيحة والتي ليس باستطاعة الشخص العادي الوصول لهذا القدر من الاعمال الخيرة وبدون ان ينتمي لطريقة معينة..., بل اكمل الهاشمي حديثه بان : الشيخ هو انسب طريقة وان كان معلما فهذا جيد وان كان متربيا فهذا احسن واحسن فالتربية اولا ثم الدين..., ان كل هذه التمثلات لدى الهاشمي فيما خص الزاوية وفكرها كانت عبارة عن نصوص يحفظها جل المريدين ليواجهوا بها من يسألهم عنها وهو كلام مشترك عند كافة المريدين القادريين الذين اجريت معهم المقابلة وتتباين درجة التعبير عن هذا الكلام حسب صفات كل واحد وحسب القدرة على تحليل شرح التصورات والتمثلات بجمل وعبارات واضحة.

في المقايلة رقم 08 :

احمد مريد مواظب على الطريقة القادرية و يقول احمد : بدات قصت انتسابي الى الطريقة القادرية في البداية بالوراثة حيث كان والدي و اجدادي منتمين للطريقة القادرية اضافة الى التعرف على الشيخ من خلال القصص التي تروى عنه زادت في نفسي له محبة و عن تمثلات الشيخ المؤسس لدى احمد فهو يرى بانه رجل ذو خوارق و كرامات و يعتقد بذلك كل الاعتقاد لبعض المريدين يفسر بان ليس كل المريدين المواظبين يعتقدون نفس الاعتقاد ولو انهم يتظاهرون بذلك فطريقة دفاعهم عن المعتقدات الصوفية كانت باهتة جدا عكس غيرهم من المريدين الذين تشربوا جيدا بالفكر الصوفي و يملكون العديد من الحجج و التفسيرات التي يواجهون بها المشككين و المنكرين.

وللعودة الى احمد فانه يرى بان من يسلك طريقة صوفية ما قد سلك طريقا اقرب للصلاح و النجاة قائلا : يكون اقرب الفرد الذي يتبع طريقة صوفية ما من طريق الاحسان ,ويبدو ان احمد ليس من المريدين

المتشبعين بالطريقة رغم مواظبته عليها الا ان تشبعه و تصوراته اتجاه الطريقة تبدو مشتتة ,ويقول احمد عن الممارسات و الطقوس التي يقوم بها مريدوا اطريقة القادرية عدا الصلاة : اهم شيء هو الصلاة على النبي ثم باقي الاذكار التي نتعلمها من شيوخنا..و كذلك يرى احمد بان لابد من المسلم بان يكون له شيخ حيث عدم وجوده في حياة المسلم و الانتماء الى طريقة صوفية ما يعد ذلك الشخص غير مرتقي بإسلامه او بإيمانه حيث يقول احمد : اتباع الطرق الصوفية هم ارقى من الناس العاديين.

اتضح جليا بان اغلب المريدين المبحوثين معتقدين اعتقادا تاما بأفكار التصوف عامة و بمنهج شيخهم خاصة و هذا ما سهل الخوض في طبيعة التمثلات الناجمة عن كل هذا الولاء او ما اصطلحت عنه ب (الانصهار الفكري) للطريقة الصوفية القادرية ومن الملاحظ كذلك كإحدى الجزئيات الجوهرية و المهمة في هذا الفكر عامة بان المتصوفة يأخذون النص الديني سواء كان قرانا ام حديثا قدسيا و يقومون بتفسيره و تحليله بما يضمن لهم مصداقية افكارهم ومعتقداتهم من امور التبجيل و التعظيم.

لذا فعموما المتصوفة يتلقون من شيوخهم تفسيرات وتحليلات للخطابات الدينية بما يخدم فكر او اتجاه معين كما ان من الملاحظ وجود معظم مقرات الزوايا في الأحياء الشعبية فالبيئة هنا هي بمثابة الدينامو الذي يغذي انتشار و ديمومة وسيرورة مثل هذه الافكار.

يذهب المستشرق سبنسر ترمنقهام إلى أن عبد القادر الجيلاني تكونت أثناء حياته أساطير وترسخت بعد وفاته، ويتساءل لماذا هو من بين مئات شخصيات الأولياء قد بقي بطريقة فريدة ليصبح ملهما للملايين وإن كان هو نفسه حنبليا متشددا و لم يقم مطلقا بادعاء الولاية، وقد اعتبر واعظا عظيما وسمعته نبعت من محتوى مواعظه، ويذهب إلى أنه لا يوجد أقل دليل على أنه كان صوفيا بالمرة[1].

[1] سبنسر برمنجهام, الفرق الصوفية في الإسلام ، ص ص 78-79.

2 : تمثلات المريدين لزيارة الاضرحة :

كانت المقابلات التي اجريت مع المريدين حاملة لعديد من التمثلات الواضحة فيما خص زيارة الاضرحة و قد تجسدت تلك التمثلات من خلال ردود افعال واضحة و صريحة وواثقة نحو الاعتقاد التام بالولي و كراماته حتى بعد موته, وقد تم تحليل المضمون تحليلا سيسيولوجيا مدعما بقراءات ابرز الباحثين و المهتمين بهذا الموضوع, وكانت مجريات المقابلة على النحو التالي :

في المقابلة رقم 01 :

من اهم الطقوس و الممارسات التي يقومون بها مريدو الزاوية القادرية يقول عبد الجليل: بعد الاوراد المعروفة عندهم مرة في الاسبوع و بالتحديد كل ليلة جمعة بعد صلاة العشاء وتتضمن الصلاة على النبي وكذلك يذكرون فيها الشيخ المؤسس و يترضون عنه تاتي زيارة ضريح الشيخ محمد الطيب و هو احد الشيوخ الذين جلبوا الطريقة الى الجزائر و شمال افريقيا في زيارات سنوية في مناسبات و مواسم على مدار السنة مثل المولد النبوي الشريف و ذكرى عاشوراء و كذا ذكرى مولد السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم و زوجة علي بن ابي طالب رضى الله عنه وحينما سالت عبد الجليل فيما يخص هدف زيارة ضريح الولي التي يقوم بها اتباع الطريقة الصوفية القادرية قال: بان المريد يذهب ليدعو عند ضريح ذلك الولي ليقوم هذا الاخير بتوصيل هذا الدعاء الى الله كون الولي الصالح اقرب من الله على المريدين و عامة الناس.

ان هذه التمثلات من فكر و طقوس و ممارسات تدعمها قوه الجماعة الضاغطة بالإضافة الى البيئة و التنشئة الاجتماعية المهيأة لاستيعاب مثل هذه الافكار.

في المقابلة رقم 02 :

بالنسبة لزيارة الضريح فهي موجودة يقول عبد الرؤوف حيث هناك في المواسم مثل المولد النبوي الشريف و كذا مولد السيدة فاطمة الزهراء و بالإضافة الى عاشوراء و ذكرى الشيخ المؤسس عبد القادر الجيلاني و الذين يحضرون الى كل هذه الاحتفالات هم المريدون انفسهم اذ ان هناك تفاعل مستمر بينهم سواء كان خلال الممارسات الطقسية او من خلال التحضير و التعاون في انجاز الولائم و التي تعرف عندهم (بالسلكة).

في المقابلة رقم 04 :

عندما سالت الافلح عن رايه في زيارة الاضرحة افرزت اجاباته تمثلات عديدة فقال : زيارة الضريح يكون كل سنة و هي مثل وقفة عرفة يجدد بها المسلم ايمانه فهي تشبه زيارة قبر الرسول صلى الله عليه و سلم يغفر لك الله تعالى ذنوبك التي سبقت.

و عندما دخلت انا و الافلح في حوار حول نقطة الولي الميت الذي يطلب منه ويستغاث به يقول: هناك العديد الذين ينكرون علينا كيفية الطلب او الاستغاثة من ميت و انه لا ينفع ...لا ..نحن نعتقد بان قربه من الله تعالى يجعله يملك القدرة على الطلب من الله و ايصال ما نطلب اليه و يصيف الافلح : انه في البرزخ و هو يستطيع الدعاء لنا عندما نطلب منه ذلك و هذه كانت من اقوى التمثلات التي حصلت عليها من مريدي الزاوية و التي كانت صريحة جدا و هي السؤال من دون الله و الادهى و الامر ان يسال الميت الذي تنقطع اعماله في قبره بان ينفعهم و يشفيهم.

و الغريب ان جل المريدين يقول بانهم لا يجعلوا الولي شريكا لله و ليس في نيتهم ذلك بل هم يطلبون منه كونه قريب من الله اذ يقوم الولي بدور الدعاء بدلا منهم لضمان الاستجابة و هذه الامور ينكرها حتى الغير مثقف في الدين كونها من مسلمات التوحيد التي لا غبار و لا جدال فيها و هي عمود الدين و الايمان فلا شريك للحق سبحانه و تعالى اذ انه لم يجز لنا حتى الرسول الكريم الطلب و الرجاء من غير الله بل و قد حذرنا من ذلك رغم مكانة و خصوصية القرب من الله عز و جل فكيف لنا ان نسال من هو اقل منه شئنا و اضافة الى ذلك تحت التراب.

كما ان الافلح يضيف بان : عالم البرزخ وهي حياة ما بين الموت و يوم الحساب هناك يكون الاولياء الصالحين و بذلك تكون اعمالهم لا تنقطع ويمكن للمريد الذهاب الى جسد الولي داخل الضريح و الطلب منه و هو يسمعك و يقوم بتوصيل طلبك الى الله .

في المقابلة رقم 05 :

صادف الحوار بيني وبين اسماعيل بان قال ضمن كلامه عبارة : "الله ورسوله اعلم" فقلت له بان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الان متوفي ولا يعلم ما الذي يجري في الحاضر بل الاجدر ان نقول الله اعلم, فقال : "ان الرسول يعلم" واستند بذلك بموقف وفاة الرسول حينما قال الرفيق الاعلى كونه ارتفع بجوار الله واصبح

يعلم كما يعلم الله وهذا تصور اسماعيل للخطاب الديني مثله مثل تصورات اهل الصوفية كلهم فيما يخص تفسير وتحليل الخطابات الدينية بل قال اسماعيل كذلك : "عندما نشرع في اتمام الصلاة عند التحيات نقول السلام عليك ايها النبي...كيف نسلم على متوفي, من سيرد علينا ؟", وهي تصورات تخص فقط اصحاب الفكر الصوفي وحده.

يبدو ان اسماعيل يعترف ان الفكر الوهابي والفكر الصوفي لا يتفقان وهذه النقطة التي اثرها عمدا حتى استطيع معرفة موقفه الخاص من هذا الموضوع فقال : "هم ينكرون بان للولي كرامات وينكرون زيارة الاضرحة ويضيف بان الولي مطهر وله مكانة عند الله لذا فانه عندما نزور القبر وندعو الله فان الدعاء يكون اقرب الى الله وهذا ما يعتقده مجمل مريدو الطريقة الصوفية عموما, وعندما قلت لإسماعيل ان النافع والضار هو الله وان كل نفس تجني ما تقدم ذكر لي الحديث القدسي : "...لايزال عبدي يتقرب لي بالنوافل حتى احببته..."، فسألته عن علاقة ما طرحته بهذا الحديث فاستخلصت بان هناك هوة لدى بعض المريدين بينهم وبين الفكر الصوفي الحقيقي كون بعض الموردين ينتمون عضويا فقط ويلقنون التصورات من نظرائهم من الموردين وقد ساوى اسماعيل القبور بالمساجد عندما قال : "لماذا نحن نذهب الى المسجد ونصلي فكذلك نذهب الى زيارة اضرحة الاولياء الصالحين فهذه هي طقوسنا كمسلمين".

لقد كانت المقابلة مع اسماعيل اقل ثراء من غيره من الموردين وهذا لراجع للتواضع المعرفي لدى اسماعيل فيما يخص الفكر الصوفي, اذ ان اجاباته كانت تخرج عن المنطق احيانا كثيرة.

في المقابلة رقم 07 :

كان الهاشمي غير مهتم بالزيارات بل انه لا يعلم عنها الكثير فقد عجز عن افادتي بما ان كانت هناك زيارات سنوية قائلا : لا توجد هناك زيارات سنوية...لا اظن ذلك... , وعند الخوض مع الهاشمي في قضية زيارة الاضرحة وعن الدعاء والرجاء في حضرة الضريح قال وهو متأكد وواثق : نحن ندعو الولي لأننا لا نملك القرب من الله مثله فيتكفل هو بالدعاء لنا لتلبية حاجياتنا...، وهذه اكبر واهم التمثلات التي اقمت عليها هذا الموضوع وهذا البحث كون الانسان يطلب من الانسان بان يدعو له الله وهذا الانسان ليس نبيا حتى بالإضافة الى انه انسان ميت.

في المقابلة رقم 08 :

عن زيارات الاضرحة يقول احمد : نعم هناك زيارات لضريح الشيخ محمد الطيب و هو من جلب الطريقة الى المنطقة ويقوم احدنا بزيارة الضريح لأخذ البركة و الدعاء و الرجاء منه ليدعوا الله لنا..ويبدو انه اهم تمثل مشترك بين كل المريدين ليس فقط في الزاوية القادرية بل في جل الطرق الصوفية الاخرى حيث يعتقد كل الطرقيين بان ضريح الولي باستطاعته الدعاء الى الله تعالى لانه اقرب منه من المريد, و يجد احمد بان جميع هذه التصورات طبيعية و منطقية و يقول احمد عن الممارسات الاخرى : هناك السلكة او الوعدة و هي تحضير و ليمة على شرف ذكرى معينة وتختلف عن نظيرتها في زوايا اخرى مثل زاوية سيدي بلخير الشطي التي تكون على طريقة الفلكلور حيث تحظر فيها الخيول و الالبسة التقليدية..

- زيارة القبور سنة مؤكدة الرجال إذا كان المقصود منها الدعاء للميت والترحم عليه والاستغفار له، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور القبور وكان أصحابه يزورون القبور وقال لهم عليه الصلاة والسلام((زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة))، فالزيارة فيها خير عظيم ومصالح تذكر الإنسان بالآخرة وبالموت ويدعو للأموات ويستغفر لهم ويترحم عليهم، هذه هي الزيارة الشرعية.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: ((السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية))وفي حديث عائشة: ((يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين)).

هذه هي الزيارة الشرعية، أما أن يدعو الميت أو يقول: أنا دخيلك، أو اشفني من مرضي، أو خلصني من كذا فهذا شرك أكبر، وهذا لا يجوز، لا مع إمام، ولا مع سيد، ولا مع نبي، ولا مع الإمام أبي حنيفة، ولا غيرهم.

لا يجوز أن يقال لأحد من الأموات: انصرني، أو اشف مريضي، أو رد غائبي، أو خلصني من هذه الكربة، لا يقول للميت: أنا بجوارك أنا في حسبك اغفر لي، هذا كله لا يجوز، بل هو من الشرك الأكبر؛ لأن هذه الأمور من خصائص الله سبحانه وتعالى، لا يقال للميت، ولا للجماد كالصنم والشجر، ولا للجن ولا للملائكة، بل هذا يطلب من الله سبحانه وتعالى، والذي يتعاطى هذا مع أصحاب القبور قد فعل الشرك الأكبر الذي حذر الله منه عباده، وأنزل الكتب في حقه، وأرسل الرسل لأجل ذلك، قال سبحانه وتعالى: كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ

ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ[1]، وقال سبحانه: فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا[2]، وقال عز وجل: وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ[3].

فالعبادة حق الله سبحانه وتعالى، فليس للعبد أن يطلب شفاء المرض أو رد الغائب، أو التخليص من الكرب من الأموات، أو من الأصنام، أو من الكواكب أو من الأشجار والأحجار، أو من الجن أو من الملائكة كل هذا لا يجوز، بل هو من الشرك الأكبر.

وإنما الزيارة الشرعية مثل ما تقدم أن يزور القبور ويسلم عليهم ويقول: ((السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية، يغفر الله لنا ولكم، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين)) وما أشبه ذلك، من الدعاء لهم والترحم عليهم.

وأما تقبيل القبر أو تقبيل الشباك أو التمسح بالقبر، فكل هذا لا يجوز، والذي يقف عند القبر يسلم فقط، ويدعو للميت ويترحم عليه كما تقدم.

ولا يجوز البناء على القبور، ولا اتخاذ المساجد عليها ولا القباب كل هذا مما أحدثه الناس.

والرسول صلى الله عليه وسلم قال: ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))، وقال : ((ألا إن من كان قبلكم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك)).

وقال جابر رضي الله عنه: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبور، والقعود عليها، والبناء عليها)، وتجصيص القبور، والبناء عليها، أو اتخاذها مساجد كله منكر لا يجوز، ومن أسباب الغلو فيها وعبادتها من دون الله، والواجب على الزائر أن يتقيد بالأمر الشرعي، وأن يبتعد عما حرم الله عليه، فيزورها كما زارها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون من الدعاء للميت والترحم عليه والاستغفار له.

وأما دعاء الميت نفسه والاستغاثة به والنذر له أو الالتجاء إليه أو التعوذ به من كذا وكذا، فهذا كله لا يجوز، وكله من الشرك.

وهكذا الجلوس عند القبر يدعو الله أو يصلي عند القبر هذا لا يجوز أيضاً، بل يجب الحذر من ذلك؛ لأنه من وسائل الشرك، ولأن دعاء الميت شرك أكبر والاستغاثة به والاستشفاع به ونحو ذلك من الشرك الأكبر، والجلوس عنده للدعاء، أو الصلاة من البدع ومن وسائل الشرك.

[1] سورة هود الاية 2/1.
[2] سورة الجن الاية 18.
[3] سورة النحل الاية31.

وهكذا البناء على القبور، واتخاذ القباب عليها من البدع، وكله من وسائل الشرك والذرائع, فالواجب على المسلمين أن يحذروا من ذلك، وأن يعيدوا القبور على حالها الأولى، ويزيلوا ما عليها من مساجد ومن قباب، وعليهم أن يتركوها كما كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد أصحابه ظاهرة، تحت الشمس، ليس عليها قبة ولا مسجد، ولا غير ذلك، هذا هو المشروع، وهذا هو الواجب، نسأل الله لنا ولجميع المسلمين العافية والسلامة[1].

3 : تمثلات المريدين للدعاء و الرجاء:

لقد تمثل المريدون الاولياء الصالحين من خلال الدعاء و الرجاء و ذلك كان كنتيجة للمقابلات التي اجريت معهم و تلخصت هذه التمثلات في التحليل السسيولوجي لمضامين المقابلات التي جرت على النحو التالي :

في المقابلة رقم 01 :

بالنسبة الى اهم الطقوس او الممارسات التي تقام في الزاوية فان الذكر حسبما قال عبد الرؤوف هو اعظم و اهم الطقوس الممارسة و يكون عبارة على اوراد تحوي آيات من القران الكريم و تدعى بالورد القرآني ثم اوراد من الاذكار و العبارات المرتبة مثل الصلاة على النبي بأعداد كبيرة تصل الى الالف و هناك مكن يصلي على النبي قياسا بمدة زمنية معينة مثلا لمدة ربع او نصف او ثلث الساعة او يزيد عن ذلك فكل حسب اجتهاده, ثم يقبلون على المدائح و اذا كان الشيخ موجودا يقوم بتدريسهم في ليلة الاثنين و الخميس بالإضافة الى ما سبق من اوراد و ذكر و هذه الدروس تدور حول مقامات السلوك يقول عبد الرؤوف :معاملة الحق سبحانه و تعالى او معاملة الرسول صلى الله عليه و سلم و معاملة الاكوان اي ما يحيط بك في مجتمعك ثم مقامات التزكية كيف تزكي نفسك و جوارحك .

في المقابلة رقم 06 :

اتفقنا انا و الزبير على ان التمثلات المتعلقة بالطقوس و الممارسات من ذكر يكون عبارة على ذكر لله عز و جل و الصلاة على النبي المصطفى صلى الله عليه و سلم كما اتفقنا على انه هناك مناسبات و زيارات سنوية

[1] http://www.ibnbaz.org.sa/mat/4833

مثل : المولد النبوي الشريف, عاشوراء و مولد السيدة فاطمة الزهراء, اما الممارسات الخاصة بالطريقة القادرية فهي زيارة ضريح الشيح محمد الطيب وهو ناشر الطريقة في المنطقة كما ان هناك اوراد اسبوعية كل ليلة جمعة بعد صلاة العشاء كذلك اضاف الزبير بان هناك تقام الوعدة و الحضرة.

في المقابلة رقم 07 :

عن تلك الطقوس التي تمارس داخل الزاوية القادرية عدا الصلوات الخمس يقول الهاشمي : هناك الذكر واهمها وابرزها الصلاة على النبي ثم هناك الاحتفالات والأذكار التي تقام عند المناسبات الدينية مثل المولد النبوي الشريف وعاشوراء, واضاف الهاشمي مناسبة قائلا : مولد فاطمة الزهراء وذكرى الشيخ المؤسس والشيخ الذي جلب الطريقة الى الجزائر وعموم افريقيا الشيخ محمد الطيب والذي يتواجد ضريحه داخل الزاوية.

في المقابلة رقم 08 :

و كباقي المريدين يقول احمد : ان المناسبات و المواسم لابد من ان نجسدها في مقر الزاوية كمثل احياء ذكرى المولد النبوي الشريف و عاشوراء و مولد السيدة فاطمة الزهراء و كذا ذكرى الشيخ المؤسس للطريقة و تكون هذه التحضيرات مشاركة مع جميع المريدين و ايضا من خارج المريدين طمعا في الاجر و الثواب و البركة.

– اذا تطرقنا الى الجانب الديني :فإن دين الإسلام مبني على أصلين : على أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيء وعلى أن يعبد بما شرع على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، وهذان هما حقيقة قولنا : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد ورسوله. فالإله هو الذي تألهه القلوب محبة ورجاء وخشية وتعظيماً، وهو الذي يستحق أن يعبد جل وعلا. وهذا هو التوحيد الذي جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب، فلا يعبد إلا الله ولا يدعى إلا الله، ولا ينذر إلا لله، ولا يستغاث بغير الله، ولا يركع ولا يسجد إلا له سبحانه وتعالى.

اما فيما يخص التصورات التي نتنج تمثلات الاولياء الصالحين فيما يخص الدعاء و الرجاء فقد لعبت البيئة و طبيعة التنشئة دورا كبيرا في ترسيخ مثل هذه الاعتقادات بالاضافة الى نقص الاطلاع الديني وكذا ضغط الجماعة الذي يحول دون خروج او تمرد فكري من طرف أي فرد منتمي الى جماعة المريدين[1].

4 : تمثلات المريدين للحضرة :

بالنسبة الى الحضرة فقد افرزت المقابلات العديد من تمثلاتها و هذا ما اتضح جليا في عملية التحليل و التفسير كون هذه الظاهرة ملتصقتا بالمفهوم الصوفي حتي اضحى يطلق عليها مصطلح الحضرة الصوفية و من خلال كل ما سبق تم اجراء المقابلات و تحليلها على النحو التالي داعمين هذا التحليل باهم القراءات و التفسيرات لاشهر الباحثين المهتمين بهذا الموضوع :

في المقابلة رقم 01 :

حينما سالت عبد الجليل فيما يخص حركات الجسم و الرقصات التي يقومون بها اتباع الطريقة الصوفية القادرية خصوصا النقشبندية نسبة الى احد مشايخها الذي اسسها في الهند قال: بان كل مؤسس كيف يرى في ممارسات الطريقة فقد راي ذاك الشيخ و يقصد هنا شيخ الطريقة النقشبندية بان يحرك اجسام مريديه كي يحرك وجدانياتهم اذ ان حبهم للطريقة و شيخها تتمثل عندما تحرك اجسامهم بتلك الطريقة..ان حجة كل شيخ كيف ما يرى لم تكن مقنعتا البته كما ان هذه التمثلات من فكر و طقوس و ممارسات تدعمها قوه الجماعة الضاغطة بالاضافة الى البيئة و التنشئة الاجتماعية المهيأة لاستيعاب مثل هذه الافكار.

في المقابلة رقم 02 :

عندما خضنا انا و عبد الرؤوف عن تلك الحركات التي يقوم بها المريدون خلال الحضرة مع الضرب بالدفوف يقول : كما يفرح اهل الدنيا بالرقص او عندما تسجل الاهداف في مباريات كرة القدم كذلك يفعل اهل الدنيا عندما يذكر اسم الله تعالى و الرسول صلى الله عليه و سلم وحركات الجسم ليست بالأمر المشبوه فهو امر عادي.

[1] الصالحين الحقيقي, دار التعليم الديني في الحفاظ على التراث, مجلة جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية, قسنطينة, مطبعة البعث العدد 23, عام 2004,ص17.

و هناك نص ثابت ذكره عبد الرؤوف و قال عنه انه في صحيح البخاري بان سيدنا جعفر و هو احد الصحابى الكرام المقربين رقص حول النبي صلى الله عليه و سلم فرحا عندما قال له انك تشبهني خلقا و خلقا, واضاف عبد الرؤوف بان الرسول اسن لنا الفرح وكل يفرح حسبه.

و هنا يضل تحليل الخطاب الديني لدى الصوفية مستمر حسب افكارهم و اتجاهاتهم و ممارساتهم و يأتي هذا التعبير و التحليل ليبرر كل تلك الممارسات, و يستمر عبد الرؤوف في خطابه حول الشطحات التي يقوم بها الصوفية اثناء الحضرة اذ يقول عبد الرؤوف : ان المريد حين يسمع الذكر وضرب الدف تستولي روحانياته عن جسمانياته فرحا فيصبح الحكم حكم الروح لا حكم الجسد ثم انتقد من ينتقد اولئك المريدين بقوله : لماذا لا يحكموا عنهم في صلاتهم و خشوعهم و لماذا لا يحكموا عنهم في ذكرهم.

و اضاف عبد الرؤوف بان : كل الزعماء الذين ساهموا في الحركات التحررية كانوا من الصوفية و ذكر الامير عبد القادر المقاوم المعروف للاستعمار الفرنسي و مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ثم ذكر الشيخ بوعمامة احد اشهر المقاومين كذلك و هذه الامثلة يضيفها عبد الرؤوف ليدعم بها افكاره و يؤثر بها على فئة او شريحة اخرى من المجتمع وهم المهتمون بالتاريخ الجزائري و المثقفين و يعود عبد الرؤوف الى الممارسات التي يقوم بها المريدون و يصفها بانها حالة روحية و تلك الممارسات المتعلقة بإيذاء الجسد بأدوات حادة اثناء الحضرة و بالنار احيانا و المسامير احيانا اخرى يقول عبد الرؤوف : قد تكون استعانة بالجن و هي محل خلاف حتى بين العلماء. ولا اعلم اي علماء الذين يبيحون التعامل مع الجن و هل هم علماء مسلمون او ما طبيعتهم تحديدا ؟

ثم يضيف عبد الرؤوف بقوله : كتب التنمية الذاتية قد فسرت ذلك وان الانسان قد يبلغ درجة من الصفاء الروحي حيث تخترق الطبيعة لتصبح الالات الحادة لا تشكل خطرا عليه اضافة الى رياضة قديمة و معروفة وهي (اليوغا) ويستطيع بواسطتها الفرد ان يجلس على الجليد فيذيبه بحرارة جسمه, فهذه اشياء موجودة و هي كانت عند البوذيين قديما و هي ليست كلها اعمال شيطانية و ليست كلها كرامات و يضيف عبد الرؤوف بان : الانشغال بهذه الامور يقطع المريد.

في المقابلة رقم 03 :

عن راي الطيب في مثل هذه الطقوس و الممارسات يضيف بالقول : ان الاصل في ضرب الدف و انسجام الاجساد معها ليس بسبب الدف بحد ذاته و لكنه لنوعية الكلام او المديح الذي يرفق ضرب الدف من مديح عن الرسول (صلى الله عليه و سلم) و ان هذه الامور عادية فكل حسب حاله و يقول الطيب : فهناك من يبكي هناك من يقوم بحركات بجسمه و هناك من يتكتم و يصبر و قد شبه الطيب ذلك بمباريات كرة القدم لحظة تسجيل الاهداف يقفز الناس فرحا بذلك الهدف كذلك يقوم الناس عندما يسمعون الكلام الجميل عن رسول الله (صلى الله عليه و سلم) محبة في ذلك و قد كفر الطيب صراحة الذين ينكرون الاحتفال بالمولد النبوي الشريف و هذا ما يجمع عنه كل اتباع الفكر الصوفي و هي احدى نقاط الخلاف بين الفكر الصوفي و الفكر الوهابي او دعونا نقول الغير متصوفين حتى لا نحصر و نجزم بوهابية الغير متصوفين.

و يضيف الطيب بان في المولد النبوي الشريف يقومون بالاحتفال لمدة شهر و ذلك بعد صلاة العشاء من كل يوم كما هناك من يقوم بتحضير ما يدعى (بالسلكة) و هي وليمة تعد للناس و يكون كذلك يوم المولد النبوي بعد صلاة العصر و هناك من لا يحدد وقتا معينا فالمهم يوم المولد او اليوم الذي يواليه و عن تلك الممارسات التي تتعلق باستعمال الآلات الحادة خلال الحضرة يقول الطيب :يقول لنا مشايخنا لا تظهروا حالكم عند الجذب و قد انكر الطيب مثل تلك الممارسات و نفي ذلك عن اتباع الطريقة القادرية النقشبندية المشهورة بتلك الممارسات الخطيرة.

و يضيف الطيب : ان ضرف الدف هو راحة نفسية و فقط و لا وجود تلك الامور التي تتبع ذلك وهو ما يتعارض بعض الشيء و تمثلات باقي المريدين و لكنها تبقى عبارة عن تمثلات واضحة وصارخة وكل حسب استيعابه و حسب كم التلقين الموجه له من طرف مشايخ الطريقة القادرية.

في المقابلة رقم 04 :

من اهم الطقوس التي تنتج عن تمثلات الاولياء لدي المريدين يقول اسماعيل: الدف (البندير) الذي يستعمل للتهليل و التنشيد مع حركات للجسم كما اعلمني اسماعيل بانهم قاموا بجلسة ذكر تدعى (يا لطيف) وذلك عن طريق قيامهم بترديد اسم من اسماء الله الحسنى الا وهو اللطيف بحيث يناجونه ويدعونه بتلك الطريقة, وكان السبب في قياهم بتلك الجلسة اعمال الشغب التي وقعت بمدينة غرداية, كما ان الاوراد تكون يوميا مثل

ورد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اضاف : ان كل شيخ كيف يأمر موريديه بالأوراد التي يقوم هو بتأليفها, وعندما ذكرت لإسماعيل موضوع الاعمال التي يقومون بها ومريدو الطريقة القادرية النقشبندية في الهند وباكستان ومناطق في العراق لم ينكر ذلك وقال : "العلاقة بين المريد وشيخه علاقة خاصة ليست كأي علاقة مع الناس العاديين", وهذه الاجابة تدل بوضوح على تمثلات كثيرة التبجيل والتقديس ابرزهما, ويعتقد اصحاب الفكر الصوفي ان شيخك الذي علمك الدين يجب ان تكافئه بالولاء والطاعة العمياء مدى حياتك وهي الضريبة التي تدفعها مقابل تلك المعرفة التي قدمها لك ضاربين بعرض الحائط الرسالة الانسانية عموما والاسلامية خصوصا في التعليم وإيصال العلم عبر الاجيال وان هذا الشيء يكون دون مقابل سواء مادي او معنوي.

وعن الاحتفالات المقامة اجمع الموردون على نفس المناسبات وهي : المولد النبوي الشريف, ذكرى الشيخ عبد القادر الجيلاني وهو الشيخ المؤسس للطريقة, مولد السيدة فاطمة الزهراء بالإضافة ذكرى عاشوراء.

في المقابلة رقم 06 :

عندما سالت الزبير عن الطقوس الممارسة في الزاوية القادرية لم يحبذ كثيرا مصطلح طقوس و قال : من الاحسن ان نقول عنها شعائر وهذا دليل اخر على التصورات التي يحملها الزبير عن الزاوية و مدى القداسة التي يضعها فيها و يقول الزبير عن تلك الشعائر بما استحسن تسميتها و المتمثلة في ضرب الدفوف و التمايل مع الذكر و تحريك الاجسام يقول : الارواح حينما تشتاق ...ثم راح الزبير يتحدث عن تلك الممارسات عندما استوقفته واخبرته بان الدين لا يامرنا بمثل هذه التصرفات وان قطعا لن يقتنع اي شخص من غير المسلم بدين الاسلام عند رؤيته كل هذه الممارسات , فيقول عندها الزبير : هذه الامور موجودة و نحن من نحكم عنها ليس غيرنا ..نحن اعلم و نحن على بينة من امرنا, تدعى هذه الجزئية بالسماع و هي موجودة بكثرة في جل الطرق الصوفية و خصوصا القادرية النقشبندية بالعراق و بلاد الفرس و الهند و باكستان و هم يعتقون بان هذا السماع يرقى بالنفس و يجددها اذ انه يعمل كعمل المحراث في الارض .

و يقول الزبير عندما سالته عن علماء المملكة السعودية كمثل الدكتور العريفي ..و الشييخ السديسي و الشيخ الشريم ...قال : من لم يتخذ العقيدة الاشعرية او الماتيرية فهو من الخوارج , وحينما سالت الزبير عن معنى العقيدة الاشعرية لم يستطع الاجابة بوضوح وحاول الافلات من السؤال بسرد كم من المعلومات المتفرقة

ليشتت الانتباه, ومن هذا الموقف علمت بان الزبير ملقن من طرف مشايخه الذين لا يتفقون مع الفكر الوهابي و هذا الاختلاف منذ امد بعيد و ليس بجديد .

لكن الفكر الوهابي لم نرى او نسمع فيه بان استعانوا بالجن في جلساتهم كما يصرح الزبير قائلا : ان الحضرة المقامة عندنا من الممكن تتحول من خلال الاستماع الى الكلام و الذكر مع ضرب الدف و حركات الجسم الى تعامل مع الجن ليقوم ببعض الافعال امام الناس كادخال اداه حادة في بدنه من دون اي اصابات و اللعب بالنار و السكاكين و المشي على المسامير ...فبماذا نسمي هذه الامور بربكم هل هي شعائر ام طقوس ,هذا المصطلح الاخير الذي غضب الزبير عندما اطلقته على تلك الممارسات التي يقومون بها, و يضيف الزبير بالقول : ان الانس و الجن يتبادلان المنفعة فالأمور التي لا يستطيع الانسان فعلها يتكفل بها الجن و العكس بالعكس, فهل الاستعانة بالجن ليس من مظاهر الشرك بالله و الزبير يتحدث عن العقيدة و هذا ضرب واضح في اسس العقيدة .

ينهي الزبير الكلام عن هذه الجزئية بقوله :هذه الامور خاصة جدا بل هي خصوصيات..., فعلمت بانه لا يملك الاقناع و الحجة اللازمتين ليواصل الحديث عن هذا الجزء من تمثلات الاولياء لدى المريدين.

في المقابلة رقم 07 :

عن التمثلات الاخرى من انشاد وحضرة فهي موجودة يقول الهاشمي وهي نفس الاجابات لدى كل المريدين العشرة وتكون حسب برنامج الزاوية وهذا الامر عند الهاشمي يمثل تنشيطا لجوارح المريد كي يزيد ايمانا وحبا لله عز وجل و للرسول صلى الله عليه وسلم. فأي حب هذا ؟

ان مفهوم الحضرة وجد سبيله إلى نوع آخر من الممارسة الصوفية في أدبيات " الزاوية " المغاربية..و لئن ضاقت فسحة البحث عن تحديد مفهوم ضابط لدلالات " الزاوية " فإنها في أبسط تعريف عبارة عن كيان ديني و اجتماعي اضطلع بأدوار سياسية جهادية في تشكله الأول ثم تمخض بعد ذلك لوظائف تعبدية و تعليمية و تربوية و إرفاقي, و لعل من نافلة القول التأكيد على كون التصوف أحد المقومات التي ارتكز إليها المغرب العربي في تاريخه المجتمعي الديني و الروحي و الثقافي باعتبار تلك النزعة التي غدت تراهن على " تصويف " المجتمع المغربي منذ القرنين الهجريين الأول و الثاني مع ما تقتضيه تلك النزعة من إدخال التصوف في مجال

سيرورة تأطير المجتمع من خلال الجمع بين الشريعة و الحقيقة (الفقه و التصوف) لخلق منهج خاص في التربية و التزكية و السلوك[1].

من هنا نفهم الدور المركزي للزاوية باعتبارها الوسيط النموذجي بين النظرية و التطبيق أي بين التصوف النظري بغاياته و مفاهيمه و مصطلحاته، و العمل السلوكي الذي تم تحديده من لدن شيوخ التصوف الكبار على اختلاف طرقهم و مشاربهم الروحية.

و لعل من اليسير التنبه إلى الدور العظيم الذي تكفل به هؤلاء الشيوخ — و أغلبهم علماء – في إعادة قراءة الموروث الصوفي النظري سواء في المشرق أو في الغرب الإسلامي باعتماد الأسس التربوية و السلوكية لهذا الموروث و اطراح جوانبه المستغلقة أو الخلافية ، حيث نسجل هنا ابتعاد التصوف الطرقي المغربي عن لغة الأحوال و المقامات و نبذ كل التأثيرات الإشراقية و الدعوات الحلولية و الاتحادية.

هكذا غدت الطريقة وسيلة تؤدي لمعرفة الله تعالى بضمان شيخ للتربية و بمقومات روحية ثلاثة هي الورد و الذكر و الحزب :

ـ الورد : و هو تركة الشيخ الذي يكشف للمريدين الجدد الطريق الصعب للكمال.

ـ الذكر : و هو عبارة عن صلوات تتضمن لائحة طويلة من الابتهالات و الدعوات.

ـ الحزب : و هو نوع من الصلاة الإضافية الزائدة عن الواجب و تكون مخصصة للقراءة.

إن التطبيق الجيد لهذه المقومات الروحية حسب معتقديها يؤدي بالمريد و يقوده إلى الاتحاد بالله و هو هدف كل متصوف. و بغض النظر عما يمكن أن نجده من اختلاف بين هذه الطريقة أو تلك فإن كل الطرق الصوفية اعتمدت مفهوم الحضرة بدلالات جديدة تتناسب مع الغاية الوظيفية السلوكية و التربوية التي قصد إليها الشيوخ قصدا و هكذا أصبحت الحضرة مجموعة من طقوس المريدين يكون على رأسها شيخ عارف بالطريقة، يقود الحفل و ينبه على كل ما من شأنه أن يشوش إمكان الوصول إلى لحظة الصفاء العلوية، و تسمى هذه عادة حضرة السلوك و أنشطتها تختلف بين اليومي و الأسبوعي حيث يخصص بعضها للمريدين الراغبين في العلم و الدرس و يعقد بعضها للذكر[2].

[1] بن محمد الميلي مبارك, رسالة الشرك و مظاهره, دار البعث الجزائر,الطبعة الثالثة, 1982,ص52

[2] بن محمد الميلي مبارك, مرجع سابق ص 55.

خلاصة :

لقد تعاملنا مع المريدين المبحوثين بطريقة عفوية وذلك باستخدام المقابلة نصف الموجهة مما ساعد على ظهور التصورات التي يتبناها المريدون فيما تعلق بالأفكار و الطقوس و الممارسات وذلك عن طريق التحليل السسيولوجي لاهم نتائج الدراسة و المتمثلة في التمثلات الفكرية و الطقسية للأولياء الصالحين عن طريق قياس تمثلات الاربع محاور الانفة الذكر, لنخرج في الاخير بان الولي الصالح يشكل بالنسبة للمريد اكثر من كونه معلم ديني فهو القدوة و المتره و المنقذ من الضلال .

ثانيا : الاستنتاج العام :

يُحيل الإسلام الشعبي، على تعابير وتمثلات دينية غير قابلة للتحديد النهائي, فهو شأنه شأن العامل الديني عموما، ليس في ذاته حقيقة ملموسة تمكن ملاحظتها (بالمعنى العلمي للملاحظة). إننا لا نلتقط منه إلا بعض التعابير والوسائل الناقلة : من إشارة وكلام وأشياء ونص وبناء ومؤسسة وجمعية واحتفال واعتقاد ومكان وزمان وشخص وجماعة. فكل شيء يشير إلى العامل الديني، مع بعض التلوينات المختلفة من دون أن نتمكن من تحديده أو الإمساك به. إنه شيء مركب وغير منفصل عن المقصد وعن الهدف المراد منه، وهو مستقر بشكل كامل. وعندما يُفكك، لا يبقى منه إلا العنصر القابل للتقديم الموضوعي : أي الشخص الذي يمارسه.. من هنا، يُفترض التمييز في صلب الدين، بين إسلام رسمي/ إسلام الفقيه، وإسلام شعبي عامي. تماما مثلما يتم التمييز في صلب الأوساط الاجتماعية، بين خاصة وعامة، وبين فئات عليا (أغنياء ووجهاء) وفئات دنيا (فقراء)، وبين حضريين وقرويين وبدو، وبين تنظيم اجتماعي قبلي وتنظيمات اجتماعية تجاوزت القبيلة. كما يُفترض التمييز في صلب الأطر الثقافية، بين ثقافة عالمة مكتوبة وثقافة شعبية تغلب عليها المشافهة. ويمكن أخذ هذه التمييزات بعين الاعتبار في دراسة الإسلام الشعبي، من خلال تبين الإسلام في حالاته التاريخية والاجتماعية والأنثروبولوجية، ومن خلال تجاوز التصور اللاهوتي لإسلام « واحد » ومتعال ولا تاريخي. كما يمكن من الكشف عن التنوع الكبير الذي يميز التعبير الديني وصوره وأشكاله[1].

ويُعد إدمون دوتيه من أوائل من أقروا بوجود نمطين في الإسلام المغاربي : الإسلام الشرعي "الرسمي" "إسلام الفقيه"، والإسلام الشعبي "إسلام المرابطين""الصوفية". وهو في نظره (أي الإسلام الشعبي) مزيج من رواسب الثقافة البربرية "الأمازيغية" ومن تعاليم الإسلام، ومتسم بالممارسات السحرية (الروحانية الباطنية) وبتغليب كل ما هو عجيب وخارق للعادة "الكرامات" إلى درجة جعلت بعض الباحثين الغربيين (منهم جاك بيرك) يقولون : إن الإسلام تبربر أكثر مما أسلم البربر. وفي السياق نفسه، أقر ألفريد بل، بوجود دين رسمي معزول عن باقي المظاهر المجتمعية، ومجموعة من العقائد الدينية الشعبية. كما ميز بين معتقدات وشعائر رسمية، وبين فهم شعبي للإسلام ساير المعتقدات المحلية وتأثر بها[2].

[1] البيومي محمد ابراهيم, محاظرات في منهج الدين المقارن, المعهد العالي للدراسات الاسلامية, القاهرة 2007.

[2] زيزاح سعيدة, الرحلة التاريخية لظاهرة الطرق الصوفية من المشرق الى المغرب, الملتقى الدولي حول الطرق الصوفية في ظل التغير الاجتماعي, قسم علم الاجتماع, جامعة عمار ثليجي الاغواط,2003. ص/ص 19.20

تبدو هذه القراءة، على رغم موضوعيتها النسبية، مطبوعة بمركزية الذات الغربية التي جعلت أصحابها ينظرون إلى المجتمعات المستعمرة (بفتح الميم) وإلى ثقافاتها، انطلاقا من خصائص الأطر التاريخية والمعرفية التي ينتمون إليها، فاستعملوا في دراسة هذه المجتمعات، المفاهيم والتصورات التي استعملت في دراسة المجتمعات البدائية المتوحشة.

كما يبدو الاهتمام ببعض تجليات الإسلام الشعبي، موجها في هذه الموجة الأولى من المشاهدات التاريخية، توجيها سياسيا جعل معظمها يشبه في محتواه محتوى التقارير البوليسية التي تتقصى مدى قدرة الطرق الدينية ونفوذها، خاصة بعد أن اتضح لأصحابها أن الإسلام هو سر المقاومة وأنه ما دام متأصلا في شعوب ما وراء البحار، فلن يُكتب الدوام للاستعمار الغربي[1].

واتجهت أولى الأبحاث الأوروبية المشار إليها سابقا، إلى تصنيف تم بمقتضاه حصرُ الإسلام الشعبي داخل دائرة الأولياء"المرابطين". ومن الدراسات النموذجية في هذا المجال، كتاب درمنغام الموسوم « تقديس الأولياء في الإسلام المغاربي » الذي صنف الأولياء على أساس ما لاحظه بينهم من فروق. فهم في نظره إما « أولياء شعبيون، يستندون إلى حكاية شعبية تبرر صلاحهم وكراماتهم، وهؤلاء يتسع مجال إشعاعهم أو يضيق بحسب أهمية المجموعات التي يرتبطون بها. وإما أولياء عالمون من أقطاب الصوفية المؤسسين لطرق التعليم الصوفي، ويتميزون بالعلم والمناقب ». وتضمنت دراسته عرضا مفصلا عن مفهوم الولاية وأنواعها وأنماط الأولياء وخصائصهم، وعن المجموعات القبلية والعشائرية التي ارتبطت بهم. ورأى أن « تقديس الأولياء هو التعبير الأوسع عن الإسلام الشعبي المتسم بالانفتاح والتلقائية، بخلاف الإسلام الرسمي"إسلام الفقيه"، الذي أصابه التحجرُ والانغلاق . كما خصص في عمله أقساما مهمة لوصف الطقوس والاحتفالات المرتبطة بالزوايا والأولياء، ووصف النذور (جمع نذر وهو الوعدة بالتعبير الشعبي) وطرق تقديمها ومناسباتها ووجوه استعمالها. ووصف مراحل الاحتفالات وسلوك الأفراد والجماعات أثناءها، وبين ما يرتبط بها أحيانا من معان ودلالات اجتماعية واقتصادية ونفسية. فهي في نظره تضمن توازن العلاقات داخل المجموعات القبلية وفيما بينها على الصعيد النفسي، وفي ذلك مجالٌ للتنفيس عن المكبوت. وهي بالإضافة إلى ذلك، ذات وظيفة علاجية تتعلق بالخصوبة وبالصرع الذي يعزوه الاعتقاد الشعبي إلى تملك الجان بالمصاب، وهو ما يقتضي طقوسا تشمل

[1] زيزاح سعيدة, نفس المرجع السابق ص 23.

الحضرة والوعدة. ورأى أن النذر"الوعدة"، طقسٌ يُعبر به عن الاعتراف للولي بالجميل عند شفاء المريض أو تحقيق الحاجة موضوع الزيارة أو النذر. كما إنها أيضا تعبيرٌ عن استمرار الوفاء بالعهد.

كما اهتم درمنغام بالوظائف السياسية للزاوية. فهي في المجال المدني تعتبرُ مركز رئاسة المدينة وحمايتها. وفي المجال الريفي تمثلُ رمزا لوحدة المجموعة المستمدة من مبدأ القرابة بينها وبين الولي، فهو بالنسبة إليها الجد أو المؤسس لوحدتها. وفضلا عن وظائف الرئاسة والحماية وتعهد وحدة الجماعة، تلعب الزاوية أدوارا سياسية أخرى منها التحكيم والقضاء بين المتخاصمين والفصل في النزاعات سلميا، وهو ما يوظف رمزية القسم (بفتح القاف والسين) في فضاء الزاوية بتوظيف قوة الولي الرمزية وما تثيره من خوف من عقابه، ومن رغبة في الاستفادة من بركته، وبتوظيف مبدأ " الحرمة " الذي يمثل تجليا شعبيا لمبدأ " الحرم " القائم على الاعتقاد في قدسية الفضاء.

فضلا عن ذلك، كانت الزاوية توفر جملة من الخدمات، منها الحماية والأمن للمستجيرين بالولي والفارين من السلطة وللملاحقين في خصومات قبلية هذه هي الوظيفة الأمنية للولي"الزاوية"، التي يطلق عليها في منطقة القبائل والكثير من المناطق الأخرى، مصطلح : العناية بالإضافة إلى إيواء عابري السبيل وضمان سد حاجة الفقراء بما كان يُحبس على الزاوية من أملاك يطلق عليها مصطلح " الأوقاف ". كما كانت الزاوية تمثل فضاء للتبادل الاقتصادي، بما كان يُقام في فضائها أثناء مواسم الزيارة من أسواق.

أما الاحتفالات المرتبطة بتقديس الأولياء، فإن درمنغام قسمها بحسب الفضاء : فهناك احتفالات مرتبطة بزوايا المدن كاحتفالات الزواج والختان وسائر الاحتفالات المقترنة بطقوس العبور. وهناك احتفالات مقصورة على زوايا جبال الأطلس وهي خاصة بالبربر"الأمازيغ". وهناك احتفالات خاصة بزوايا السهول، وهي احتفالات القبائل العربية.

وعموما تُسعفنا هذه الدراسات بجملة من النتائج التي يمكن أن تساهم في زحزحة الفهم التقليدي للإسلام بعد تخليصها مما علق بها من شوائب لا علمية، ومنها تنمية الوعي بما في الإسلام من تنوع، يتجلى خاصة في التمييز بين إسلام رسمي"إسلام الفقيه"، وإسلام شعبي يمثله الولي"الزاوية"[1].

[1] الفرد بل, الفرق الاسلامي في الشمال الافريقي, يرجمة عبد الرحمان بدوي, دار الغرب الاسلامي, بيروت, الطبعة الثالثة 1987,ص 32.

ترجيح أثر الإطار العمراني في فهم الناس للدين، فقد رأى لوتورنو مثلا، أن نمط الإسلام السائد في المدن المغربية، هو النمط الرسمي"إسلام الفقيه"، القائم على ممارسة تعاليم الدين طبقا للمذهب المالكي أساسا. بينما ساد في الإطار الريفي والقروي، حيث يغلب التنظيم القبلي، نمطٌ شعبيٌ من التدين قائمٌ على استيعاب معتقدات موغلة في القدم، تمثل عمق الذاكرة الثقافية للإنسان البربري"الأمازيغي". ويُعلل ألفريد بل ذلك بأن الزوايا المبثوثة في القرى والأرياف، عجزت عن الرفع من مستوى فهم الدين عند البدو والقرويين، وذلك بسبب ما يعتبره عجز الدين الأساسي"الشعبي" عند البربر"الأمازيغ"، عن استيعاب مقولات الدين الرسمي"إسلام الفقيه". والواقع أن الزوايا لم تعجز عن رفع مستوى التدين عند البدو والقرويين، بل إن الصوفية"الأولياء" رفضوا منذ القرن الأول الهجري أطروحة الإسلام الرسمي"إسلام الفقيه"، وعارضوها بشدة حتى تعرضوا بسبب ذلك للاضطهاد والتشريد والقتل. وفي إطار التصنيف ذاته، ذهب جاك بيرك إلى أن نموذج المتدين السائد في المدينة هو نموذج الفقيه، بينما ساد في البوادي والقرى نموذج الصوفي"الولي". وهذا يعود إلى أن السلطة التاريخية وخطابها كان تأثيرهما الأكبر في المدن حيث سيطرة خطاب الفقيه، بينما بقيت القرى والبوادي خارجة عن سيطرة خطاب السلطة لأنها تتبع الصوفي"الولي". من هنا رأينا أن هذه كانت هي حال المغرب الأوسط والشرقي حتى نهاية الحكم العثماني واحتلال المنطقة من طرف الفرنسيين.

إثبات أثر العوامل التاريخية في ما يُلاحظ في الإسلام من تنوع. وعلى هذا الأساس ميز جاك بيرك بين ثلاث فترات، امتدت الأولى من القرن الثاني عشر الميلادي إلى القرن الخامس عشر الميلادي، ساد خلالها الإسلام المرابطي"الصوفي"، ويرى أنه لعب دورا مهما في تحقيق الاندماج الاجتماعي بينما ساد " الشرفة" في القرن السادس عشر الميلادي، وساد الإسلام الطرقي بداية من القرن السابع عشر، لتشهد الطرق أوج انتشارها في القرن الثامن عشر.

ومن الملاحظ أن العديد من الدراسات السوسيولوجية اللاحقة، بينت بعض هذه النتائج. ففي قراءة تأخذ بعين الاعتبار الأسس الاقتصادية والاجتماعية والنفسية الفاعلة في صياغة التمثلات الجماعية، أقر عبد الوهاب بوحديبة بتعدد الإسلام المغاربي، نظرا إلى تعدد الواقع الاجتماعي. وخرج في تصنيفه عن التصنيف الثنائي، إلى تصنيف ثلاثي ميز فيه بين " إسلام المدن " و "الإسلام الشعبي " الذي يتجلى في إسلام الزوايا والصوفية الطرقية، والإسلام الأساسي. ومن المنظور السوسيولوجي نفسه، يرى بيير بورديو أن الإسلام التاريخي متنوع،

لأنه يتأقلم مع المرحلة التاريخية التي يعيشها المجتمع، ولأنه ينتقي في كل مرحلة من القيم الدينية ما يتماشى معها[1].

كما أثبتت بعض الدراسات التاريخية هذه النتائج، حيث ميز عبد الله العربي مثلا، بين الإسلام الرسمي، وهو إسلام الدولة، وإسلام الزوايا الذي يمثل الإسلام الشعبي، والإسلام السياسي الذي تمثله الحركات السياسية الأصولية التي اتخذت من الدين خلفية تعبر من خلالها عن احتجاجها ضد السلطة. كما ميز محمد الهادي الشريف بين نمطين رئيسيين في عهد الحسين بن علي بن أبي طالب : نمط ساد في المدن، وهو دينٌ تمثله اجتماعيا الفئات العليا (الوجهاء والأغنياء وأصحاب السلطة) ومجاله الثقافي هو الثقافة المكتوبة والتعليم الديني الفقهي، ويستمد سلطته من كونه مرجع القوانين الشرعية"الأحكام الفقهية".

أما في الأرياف، فالإسلام السائد هو الإسلام الصوفي"إسلام الزوايا"، وتمثله اجتماعيا الفئات الدنيا "الفقراء والعامة" ومجاله هو الثقافة الشفوية، ويستمد ثباته واستمراره من سيادة التقاليد.. وهكذا، أثبتت الدراسات التاريخية والسوسيولوجية من منظور تاريخي، أن الدين منظومة متحولة ومتحركة، وأن الإسلام ظل عبر تاريخه متأثرا بسياقه الاجتماعي والثقافي والمؤسسي"المؤسساتي"، وأن الإسلام متعددٌ بتعدد المجالات الاجتماعية، ومختلفٌ باختلاف الفاعلين الاجتماعيين وباختلاف تمثلاتهم الدينية والرمزية.

ومع ذلك، نجد أن الدراسات الاستشراقية المتعلقة بالإسلام، تنتسب إلى مجال الإسلاميات الكلاسيكية، التي ساهمت في تكريس التصور الفقهي العالم (بكسر اللام) للإسلام عندما اقتصرت على دراسة الإنتاج الديني"الفقهي" وتراثه الرسمي ممثلا خاصة في كتابات الفقهاء وسائر علماء الدين، ولم تول مظاهر التدين الاجتماعي ما تستحق من العناية. هذه المظاهر والتعابير التي ألغتها الإسلاميات الكلاسيكية، بينما اعتبرها علم الاجتماع الديني الحديث، داخلة في صلب اهتماماته، لأنها هي التي تبرز الإسلام الحي والمعايش في الواقع المجتمعي، لا إسلام الكتب والفقهاء المنظرين، الإسلام كما هو في الواقع وكما يتحرك في الواقع، لا الإسلام النظري المثالي. والواقع أنه، كما يقول الباحث محمد أركون : لم تتم دراسة الطرق التي تمت بها ممارسة الإسلام في الواقع التاريخي فعلا، ولا التعابير التي تمثلت بواسطتها الإسلام شعوبٌ إسلامية لا تملك الكتابة، على غرار البربر "الأمازيغ والأفارقة". كما أهملت الأبحاث تعابير الجماهير الشعبية. وفي هذا ما يؤكد نتائج الدراسات النظرية حول مفهوم الدين الشعبي، عندما ربطته بالثقافة الشفوية أساسا. وهو ما يقتضي منهجيا البحث عن

[1] جويرو، زهية, الإسلام الشعبي، ص ص 41- 56

تجليات هذا الدين"التدين"، وعن دلالاته ووظائفه بالنسبة إلى أصحابه في صلب هذه الثقافة بالذات، وليس في إطار الثقافة العالمة"الفقهية النظرية".

ثمة فئاتٌ وشرائح واسعة جدا من المسلمين، لم يكتبوا إسلامهم"تصوراتهم للدين"، حتى وإن كانوا يستطيعون الكتابة، لأنهم يحملون من الإسلام موقفا ورؤية لا ينسجمان مع الأيديولوجية الدينية الرسمية المهيمنة، ولا مع الاختيارات السياسية المتحكمة. لذلك نجد هذه الفئات نفسها مجبرة على قول ما لا تفكر فيه، أو على التفكير في أشياء لا تستطيع قولها ولا كتابتها، الأمر الذي يقتضي دراسة السلوك الديني أو اللاديني الذي تمارسه هذه الفئات، باعتباره تعبيرا من تعابير الدين المعايش. وهذا ما يدعونا إلى التفكير في ما إذا كان الإسلام الشعبي محصورا في السلوك الديني وفي الممارسات التي تعبر بواسطتها فئاتٌ من الشعب عن تدينها، أم إنه يشمل إضافة إلى ذلك، السلوك والممارسات التي تعبر بواسطتها فئاتٌ أخرى، عن موقف من الإسلام مختلف عن موقف المتدين بوجهيه الشعبي والفقهي.

إننا نتساءل في هذا السياق، عن موقع الفئات المثقفة التي تنتمي اجتماعيا إلى الفئات الشعبية، لكنها تختلف في سلوكها الديني وفي تمثلاتها للدين وفي تصورها لموقعه من التنظيم الاجتماعي، بفعل تبنيها موقفا علمانيا، لا تتاح أمامها دائما إمكانيات التعبير الصريح عنه. وعلى رغم ذلك، فإنها تعبر بسلوكها اليومي والعادي وبردود فعلها البسيطة، عن شكل مخصوص من أشكال التدين الجديدة التي ظهرت نتيجة ما شهدته المجتمعات الإسلامية في الحقبة المعاصرة، من تحولات مست بأثرها المنظومات الدينية والرمزية، حتى أصبح من غير الممكن أن تستند أشكال التدين اليوم، إلى الرأسمال الرمزي القديم والمناخ الأسطوري السابق، بعد ان اهتزت هذه العناصر بفعل زحف الرؤية العلمانية للدين[1].

دأب الصوفية في الجزائر وبلاد المغرب عموما على تذوق الموسيقى وممارسة السماع الذي ارتبط بالشعر الشعبي (الملحون) ارتباطا عضويا حيث كان بعض شعراء الملحون متخصصين في مدح بعض الأولياء من الأقطاب أو من مؤسسي الطرق الصوفية الكبرى. ونذكر من بين هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر : الشيخ عبد القادر بن طبجي دفين مستغانم ومداح سيدي عبد القادر الجيلاني (له ديوان مطبوع). ومن بين أشهر القصائد التي كتبها في مدحه « عبد القادر يا بوعلام ضاق الحال علي » التي غناها كثيرون وحرفوا مضمونها.

[1] مرجع السابق ص ص 57- 59.

ومن الواضح في هذا السياق أن الشعر الملحون لا معنى لوجوده إذا لم يتحول إلى أغان ومدائح. ومن هنا كان شيوخ الصوفية يؤكدون على ضرورة صياغة تعاليمهم وتوجيهاتهم ووجدانياتهم في شكل قصائد من الشعر الملحون سواء بأنفسهم (كما هي حال الشيخ سيدي أحمد بن مصطفى العلوي المستغانمي مؤسس الطريقة العلوية والذي له ديوان شعر مطبوع أغلبه من الملحون) أو الذين كان لهم شعراء ينتسبون إلى طرقهم ويصوغون تعاليمهم شعرا ويمدحونهم كما هي حال إدريس بن دريس شاعر ومداح محمد بن عيسى الملقب بالشيخ الكامل مؤسس الطريقة العيساوية دفين مكناس، إضافة شعراء الطريقة العيساوية في الجزائر.

وقد فهم شيوخ وأقطاب الصوفية في المنطقة المغاربية منذ زمن بعيد أن الشعر الملحون هو أثقل وزنا وأكثر رسوخا في أذهان العامة الذين شكلوا وما يزالون يشكلون أغلبية أتباعهم. وفهم هؤلاء الشيوخ أيضا أن هذا الشعر لا يمكن أن يرسخ في أذهان العامة إذا لم يغن. ومن هنا جاءت العلاقة العضوية المتينة بين شيوخ وأقطاب التصوف وبين شعراء الملحون. ولا يعني ذلك أن شعراء الملحون كانوا عاجزين عن نظم الشعر الفصيح ولكنهم كانوا ينظمون الملحون أكثر من الفصيح (سيدي قدور العلمي نموذجا) لأنه أكثر وأسرع انتشارا وأكبر أثرا وبالتالي أكثر فاعلية في توصيل الرسالة الصوفية.

ومن هذا المنطلق يمكن اعتبار ظاهرة (المداح) اختراقًا فنيا للمجتمع من طرف الصوفية، أو بتعبير آخر توظيفا للفن كوسيلة لتحريك الخطاب الديني الصوفي على مستوى الطبقات الاجتماعية المختلفة وخاصة البسيطة منها.ولهذا نلاحظ أن العديد من شعراء الملحون من الصوفية كان باستطاعتهم نظم الشعر الفصيح على الأوزان الخليلية التقليدية، غير أن ذلك لم يكن ليحقق لهم الهدف الذي يقصدونه من النظم، لأن شعرهم في هذه الحالة لن يكون في متناول الأغلبية ولن تفهمه سوى النخبة الذي تمثل الأقلية داخل المجتمع.

ومن المعروف أن ثنائية (الطالب) و (المدّاح) هي التي تقف في النهاية من وراء ظهور ما يعرف اليوم بالفن الشعبي أو الغناء الشعبي الجزائري، حيث أن مدرسة الشعبي ما هي إلا امتداد لظاهرة المدّاح المنطلقة أساسا من الفضاءات الصوفية المتمثلة في الزوايا.فالمدّاح من جانب المضمون كان يمدح عن الله تعالى، وعلاقة الانسان به من حيث الطاعة و المعصية والاستغفار بما يشمل جميع الانشغالات السلوكية الصوفية، ويمدح أيضا عن الرسول علية الصلاة والسلام، والصحابة رضي الله عنهم،والأولياء والصالحين، إضافة إلى أيام وغزوات العرب[1].

[1] سعد الله، أبو القاسم, تاريخ الجزائر الثقافي، الطبعة الاولى, ص 187.

وإذا كان بعض شعراء الملحون لم يشتهروا بانتسابهم لطريقة صوفية معينة (ومن بينهم محمد بن مسايب) فإن ذلك لم يمنعهم من كتابة عشرات القصائد الصوفية بل إن العديد من قصائدهم التي يصنفها بعض الدارسين في خانة « الغراميات » أو « الهزليات » هي في الواقع قصائد « جدية » وصوفية أيضا.

وإذا كان الشعر الملحون قد ارتبط عند الصوفية بمسألة السماع أو الغناء والموسيقى ارتباطا عضويا، فإن ذلك نابع أصلا من كون الصوفية منذ القديم يستشعرون الحرية في التعامل مع المسألة الفقهية بحيث لم تكن لديهم أية مشكلة في هذا المجال بل إنهم كانوا دوما يحبّذون السماع ـــ الموسيقى والغناء ـــ حيث اعتبروه من العلوم التي تجمع بين المعاملة والمكاشفة ونقلوا جوازه عن بعض العلماء والعارفين امثال أبي مدين شعيب بن الحسن الأندلسي، دفين تلمسان، و أبي القاسم الجموعي و أبي الحسن الشاذلي والشطيبي وغيرهم، فقد أخبر محمّد بن سليمان عن جواز سماع الموسيقى للصوفي الحقيقي، و أخبر أن شيخه موسى بن علي اللّالتي كان حسن الإنشاد و أنّه إذا أسمع و أنشد يكاد قلب السامع من تأثيره ينفطر وينهدّ، و أن شيخه كان يقول : "ورثنا هذا المقام عن داود عليه السلام[1].

[1] سعد الله، أبو القاسم, مرجع سابق ص 188.

الخاتمة

الخاتمة :

من الناس أتباع التصوف من يعتقد بشبهات كبيرة وأفهام خاطئة فيرى القدسية والتنزيه عن الأخطاء لأئمة الصوفية ومشايخهم، ومن يعتقد النفع والضر من هؤلاء، أو أنهم بعد رسول الله عليه السلام مباشرة لا يمكن أن يسبقهم في درجاتهم أحد مهما أوتي من العلم والمجاهدة والفضل.

خطأ تصور أن التصوف لا يتقيد بظاهر الأعمال، حيث يستنكر الصوفية ويؤكدون أنه ليس كل تزكية تصوفا، فالتزكية البوذية أو الهندوسية ليست تصوفا إنما التصوف هو التزكية التي تخضع لأحكام الشريعة الإسلامية.

في القرن السابع الهجري نزل في العراق والشرق العربي بشكل عام متصوفون من الهنود والمشعوذين من الحكماء الإلهيين فأدخلوا على حلقات الصوفية صنوفا من المخدرات الصناعية والطرق الغريبة كالرقص المشاهد حتى يومنا هذا في تكايا الدراويش الذي يصاحبه أعمال شعوذة وأكل للزجاج والنار ووخز البدن بإبر الحديد المحمي[1].

والتصوف ما دام أنه علم باطني فهو عرضة للضلالات والمزالق، إذ أن منشأ الكمال في الشيء هو في باطنه أكثر مما يكون في ظاهره وفي قوته أكثر من مقداره وفي لبه أكثر من قشره وفي روحه أكثر من جسمه وفي مغزاه أكثر من شكله، وكلما كان الشيء أعرق في الباطن والغموض كان أشد تعرضا للشبهات والضلالات وتطرقت إليه الأوهام ونسجت حوله الأساطير.

[1] هشام خالدي, التصوف ومنزلته من الفكر الإسلامي، قراءة في مذاهب الصوفيين واتجاهاتهم، حوليات التراث، مجلة دورية تصدرها كلية الآداب والفنون، جامعة مستغانم، العدد 1, جوان 2004، ص 3.

المراجع

قائمة المراجع

المراجع العربية :

1. ابراهيم مذكور, معجم العلوم الاجتماعية, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة ,بدون طبعة,1975.

2. ابن منظور, لسان العرب, المجلد العاشر, دار الطباعة و النشر, بيروت .

3. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الطبعة الاولى، دار البصائر، الجزائر، 2007.

4. البيومي محمد ابراهيم, محاظرات في منهج الدين المقارن, المعهد العالي للدراسات الاسلامية, القاهرة 2007.

5. الراغب الاصفهاني, المفردات في غريب القران, دار المعرفة للطباعة و النشر, بيروت.

6. السيد يوسف هاشم الرفاعي, الصوفية و التصوف في ضوء الكتاب و السنة, دار النشر غير موجودة, الكويت, الطبعة الاولى, 1999.

7. الصالح مصلح, النظريات الاجتماعية المعاصرة و ظاهرة ال في البلدان النامية, عمان, مؤسسة الوراق, 2000.

8. الصالحين الحقيقي, دار التعليم الديني في الحفاظ على التراث, مجلة جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية, قسنطينة, مطبعة البعث العدد 23, عام 2004.

9. ألفرد بل, الفرق الاسلامي في الشمال الافريقي, يرجمة عبد الرحمان بدوي, دار الغرب الاسلامي, بيروت, الطبعة الثالثة 1987.

10. بن محمد الميلي مبارك, رسالة الشرك و مظاهره, دار البعث الجزائر,الطبعة الثالثة, 1982

11. بونار رابح, المغرب العربي, تاريخه و ثقافته, دار الهدى, الجزائر, الطبعة الثالثة,بدون سنة.

12. تاليف نخبة من اساتذة علم الاجتماع, المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية, الاسكندرية, دار المعرفة الجامعية.

13. حسن ابراهيم حسن, تاريخ الاسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, الجزء الرابع الطبعة الاولى 1967.

14. حسن عبد الحميد احمد و رشوان, تطور النظم الاجتماعية و اثارها في المجتمع, الاسكندرية, المكتب الجامعي, الطبعة الرابعة 2003.

15. حسن علي مصطفى حمدان, نشاة الدين بين التصور الانساني و التصور الاسلامي, طبعة الاولى 1991.

16. حمدين ايمن, قاموس المصطلحات الصوفي, دراسة تراثية مع شرح اصطلاحات اهل الصفاء من كلام خاتم الانبياء, دار قبا, القاهرة 2000.

17. خميسي ساعد, حول حقيقة التصوف, مجلة جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاجتماعية, قسنطينة, مطبعة البعث, العدد 12, 2002.

18. زيزاح سعيدة, الرحلة التاريخية لظاهرة الطرق الصوفية من المشرق الى المغرب, الملتقى الدولي حول الطرق الصوفية في ظل التغير الاجتماعي, قسم علم الاجتماع, جامعة عمار ثليجي الاغواط 20/19 افريل 2003.

19. شروخ صلاح الدين, منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية, دار العلوم عنابة الجزائر, 2003.

20. طوالبي نور الدين, الدين و الطقوس و التغيرات, ديوان المطبوعات الجامعية, منشورات عويدات, بيروت, باريس, الطبعة الاولى 1988.

21. عيادي سعيدو التنشئة السياسية بين المدرسة و البيئة الثقافية, رسالة ماجستير,معهد علم الاجتماع, جامعة الجزائر 1991/1990.

22. مصطفى سليم شاكر, قاموس الانثروبولوجيا, انجليزي عربي, جامعة الكويت, الطبعة الاولى.1991

23. وعلي راضيا, المراة الجزائرية و دراسة الاضرحة, دراسة انثروبولوجية لمنطقة شرشال, مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع جامعة سعد دحلب البليدة السنة الجامعية 2008/2007.

24. الخولي حسن, الريف و المدينة في مجتمعات العالم الثالث, جامعة القاهرة,كلية التخطيط الاقليمي و العمراني.

25. كمال طارق, أساسيات في علم الاجتماع الديني, مؤسسة شباب الجامعة, الاسكندرية, بدون طبعة, 2009

26. احمد محمد بيومي, علم الاجتماع الديني, دار المعارف الجامعية, الاسكندرية,ط2, 1994

27. عن عزام المصطفى، أهمية التصورات في التكوين الأساسي للمعلم، البصريات نموذجا، سلك تكوين مفتشي التعليم الابتدائي، نيل شهاد مفتش التعليم الابتدائي، يونيو 1997.

المراجع الاجنبية :

1/ Gary Anderson; Fundamentals of Educational Research, The Falmer Press, First Published, 1990

2/ Migne Jean ; représentation et apprentissage des adultes. Education permanente, N119, 1994- 2

3/ DEVELAY .M . (1985), Conférence de Séminaire pour la didactique des sciences expérimentales ;B.E .L.P , RABAT- DE

4/VICCHI.G .(1989), l'enseignement scientifique comment faire pour que ça marche ? Edition Paris

5/MARTINAND G et GIORDAN A , cite par le Gendre

مواقع الويب :

http://www.ejtemay.com/showthread.php?t=4418

http://www.ibnbaz.org.sa/mat/4833

الملاحق

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

قسم علم الاجتماع و الديموغرافيا

الملحق رقم 1 :

بطاقة مقابله استكمالا لمتطلبات اعداد مذكرة ماستر أكاديمي

الميدان: علوم اجتماعية

الشعبة : علم الاجتماع

التخصص : علم اجتماع الاتصال

من إعداد الطالب : **عبد الله باباحد**

بعنوان: تمثل الأولياء الصالحين لدى مريدي الزوايا

دراسة ميدانية لمريدي الزاوية القادرية بورقلة

معلومات أولية حول المريد :

- رقم :
- الاسم: (تم ادراج اسماء مستعارة بدلا من الاسماء الحقيقية)
- المدة الزمنية للمقابلة:
- السن:
- المستوى التعليمي:
- المهنة:

أسئلة المقابلة (نصف موجهة)

- كيف انتسبت للطريقة القادرية ؟ هل ورثت ذلك ام انتسبت لاحقا ؟
- هل انت مواظب على هذه الطريقة ام لا ؟
- ماذا يمثل لديك شيخ الزاوية المؤسس ؟
- هل هو شخص ذو كرامات وخوارق ؟
- هل هو شخص صالح عادي ؟
- ماذا تضيف الزاوية للمسلم في رايك ؟
- ماذا تستفيد في حياتك الدينية و الدنيوية كونك مريد للزاوية ؟
- ماهي اهم الطقوس التي تقومون بها في الزاوية عدا الصلاة ؟
- ان كان ذكرا فكيف يكون ومتي ؟
- ان كان مديحا او ما شابه فكيف يكون ومتى ؟
- هل هناك زيارات سنوية او في مواسم معينة للزاوية ؟
- كيف تقام ان وجدت ومن يحضر لها ؟
- هل تقام خلال الزيارة ممارسات معينة ,كالحضرة او الوعدة او الانشاد ...وكيف ذلك ؟
- كيف ترتبط الزاوية بالحياة الاجتماعية للناس في رايك ؟
- ماذا عن الجوانب الاخرى الاقتصادية و الثقافية, الدينية خصوصا, وكذا السياسية ؟

الملحق رقم 2 : امثلة للمقابلات

- **المقابلة رقم 01 :**

- الاسم: عبد الجليل
- المدة الزمنية للمقابلة:48 دقيقة و 23 ثانية
- السن:24
- المستوى التعليمي: جامعي
- المهنة: /

يقول عبد الجليل بانه ورث الانتساب الى الطريقة القادرية عن والده الذي كان بدوره يرتاد الى الزاوية لذا فان المحيط الاسري يلعب الدور الاساسي في بث اولى جرعات الادمان نحو ارتداء الذهاب الى الزاوية رغم ان عبد الجليل اضاف بان صديقا له كان قد شجعه على المواظبة و الانتساب الكامل لهذه الطريقة الصوفية فكذلك نجد بان الجماعة تقوم بالضغط المنوط بها لجره الى الفكر الصوفي .

بما ان عبد الجليل تجرع منذ نعومة اضافره الذهاب و الارتداء الى الزاوية و كذلك المحيط الخارجي الذي يشجعه على ذلك نجد بان عبد الجليل مواظب على الطريقة القادرية

يصرح عبد الجليل حينما سالته عن شيخ الزاوية المؤسس و ما الذي يمثله له بان هذا الاخير يعود نسبه الى الاشراف (على حد قوله) وهم من سلالة اهل البيت و تحديدا من سلالة الحسين ابن الصحابي الجليل علي ابن ابي طالب رضي الله عنه .

كما يجزم و بكل قناعة عبد الجليل بان الشيخ المؤسس له كرامات بل و لكل ولي كرامات وان الكرامات قد تظهر حتى عند الانسان العادي المطيع و القريب الى الله وقال عبد الجليل قولا كان قد نسبه الى الشيخ الشعراوي رحمة الله عليه و الذي يقول :الاستقامة خير من الف كرامة... ثم ختم عبد الجليل حديثه عن هذه الجزئية بان قال : كثرة المريدين للشيخ المؤسس و لطريقته هي احدى الكرامات التي وهبها الله اياها .

يرى عبد الجليل بان لابد من المسلم بان يكون له شيخ حيث عدم وجوده في حياة المسلم او الانتماء الى طريقة صوفية ما يعد ذلك الشخص غير مرتقي في اسلامه او في ايمانه حيث يقول عبد الجليل بان المتصوف هو ارقى و اسمى من الغير متصوف عند الله و هذا الفكر ليس بجديد فلطالما اصطدم هذا الفكر بالفكر الوهابي المضاد له و الذي ينكر كل افكار التبجيل و التعظيم من غير الله تعالى و هذا ما سيتطرق له عبد الجليل لاحقا من خلال الحوار الذي جرى بيني و بينه بل وراح عبد الجليل الى ابعد من ذلك اذ افصح بانه لا يمكن للمؤمن بان يصل الى درجة الاحسان الا عن طريق اتباعه لإحدى الطرق الصوفية و ان الذي يفعل ذلك تنقلب اعماله العادية الى اعمال عبادية و ذلك عن طريق نية الفرد وضرب عبد الجليل عدة امثلة كالأكل بغرض التقوى للعبادة و الزواج لغرض طلب العفاف و تحصين النفس ...و غيرهم و هذا ما درسناه في المؤسسات التعليمية الحكومية و لم يقال لنا سابقا باننا يجب ان نتبع طريقة صوفية ما حتى نتمكن من فعل هذا .

من خلال بعض الاسئلة السابقة التي قصدت منها التأكد من الانتماء و الولاء الفكري قبل البدني الى الطريقة القادرية بالنسبة الى عبد الجليل اتضح جليا بان هذا الاخير منصهر انصهارا تاما بأفكار التصوف عامة و بمنهج شيخه خاصة و هذا ما سهل الخوض في طبيعة التمثلات الناجمة عن كل هذا الولاء او ما اصطلحت عنه ب (الانصهار الفكري) للطريقة الصوفية القادرية ومن الملاحظ كذلك كإحدى الجزئيات الجوهرية و المهمة في هذا الفكر عامة بان المتصوفة يأخذون النص الديني سواء كان قرانا ام حديثا قدسيا و يقومون بتفسيره و تحليله بما يضمن لهم مصداقية افكارهم ومعتقداتهم من امور التبجيل و التعظيم فعلى سبيل المثال و اثناء حواري مع عبد الجليل هذا الشاب الطيب الذي لم يبخل بالبوح الصريح بما يجول في خاطره و عندما تذكرنا سوية تلك القصة التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و هي في مدونة في الصحيحين مسلم و البخاري حينما دخل اعرابي على مجلس رسول الله و سال: ما الاسلام ؟. فرد النبي بان سرد له اركان الاسلام فقال الاعرابي :و الله لن ازيد عن ذلك فالتفت و غادر المجلس و خلال مغادرته اشار الرسول بان الاعرابي احد سكان الجنة ان صدق و طبق هذا الاعرابي الذي كان على ما يبدو وحسب تحليلي الشخصي المتواضع كان براغماتيا الى ابعد الحدود فقد سال على الفعل فتلقى الجواب الصريح فعزم على التطبيق بدون اي تعقيد فلو شاء الرسول لأجلسه لساعات او كلف شيخا يرافقه ليعلمه الاسلام ..و للعودة

الى تحليلنا لخطاب عبد الجليل نجد بان الفكر الصوفي الذي يتبناه كغيره من المريدين مليء بالتمثلات و الافكار التي تتخذ من الدروشة و التبجيل التقديس و احيانا كثيرة اللامنطق احدى مسلماتها .

غير ان عبد الجليل فسر موقف الرسول بطريقة مغايرة دائما حسب ما يخدم اتجاهاتهم الفكرية اذ قال: لقد خاطب الرسول الاعرابي على حسب مستواه فلم يخاطب الرسول بنفس الطريقة علي بن ابي طالب مثلا او عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما ولكن عبد الجليل لم يتفطن بانه وضع الحجة على نفسه بهذا الرد حين اقر بان الاعرابي دون مستوى احد الصحابي و بشره الرسول بالجنة فالدين الذي استطاع التفاعل مع ابسط المستويات لخير دليل على انه دين واضع و بسيط و ملازم لمنطق العقل البشري ولا يتطلب واسطة ايا كان قدره بين الله عز و جل وبين عبده.

لذا فعموما المتصوفة كمثل عبد الجليل يتلقون من شيوخهم تفسيرات وتحليلات للخطابات الدينية بما يخدم فكر او اتجاه معين كما ان من الملاحظ وجود معظم مقرات الزوايا في الأحياء الشعبية فالبيئة هنا هي بمثابة الدينامو الذي يغذي انتشار و ديمومة وسيرورة مثل هذه الافكار ورغم ان عبد الجليل ذو مستوى جامعي الا ان مستواه التعليمي لم يحول دونه و تلك الافكار من تبجيل و تقديس وطلب للشفاء عند الاضرحة وبالرغم من اقرار اولئك الذين هم كمثل عبد الجليل بان الرجاء لله وحده و ان الله هو الشافي و المعافي الا ان تصرفاتهم تنافي هذا الحديث اجمالا متخذين عبارة : (كل حسب نيته) كدرع لوقف الانتقادات التي توجه لهم فهل ترك القران و السنة النبوية الشريفة شيئا غامضا يجعلنا نبحث عن ضالة يريد المتصوفة ان يوهموننا بانهم الوحيدين المؤهلين لوجود هذه الضالة دائما ...لا اعتقد باننا بحاجة الى مشايخ و طرق عديدة اذا اتبعنا الكتاب و السنة.

من اهم الطقوس و الممارسات التي يقومون بها مريدو الزاوية القادرية يقول عبد الجليل: الاوراد المعروفة عندهم مرة في الاسبوع و بالتحديد كل ليلة جمعة بعد صلاة العشاء وتتضمن الصلاة على النبي وكذلك يذكرون فيها الشيخ المؤسس و يترضون عنه وهم يستعملون على حد قوله الدفوف في زيارات سنوية في مناسبات و مواسم على مدار السنة مثل المولد النبوي الشريف و ذكرى عاشوراء و كذا ذكرى مولد السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم و زوجة علي بن ابي طالب رضى الله عنه وحينما سالت عبد الجليل فيما يخص حركات الجسم و الرقصات التي يقومون بها اتباع الطريقة الصوفية القادرية خصوصا النقشبندية نسبة الى احد مشايخها الذي اسسها في الهند قال: بان كل مؤسس كيف يرى في ممارسات الطريقة فقد راي ذاك الشيخ و يقصد هنا شيخ

الطريقة النقشبندية بان يحرك اجسام مريديه كي يحرك وجدانياتهم اذ ان حبهم للطريقة و شيخها تتمثل عندما تحرك اجسامهم بتلك الطريقة..ان حجة كل شيخ كيف ما يرى لم تكن مقنعتا البته كما ان هذه التمثلات من فكر و طقوس و ممارسات تدعمها قوه الجماعة الضاغطة بالإضافة الى البيئة و التنشئة الاجتماعية المهيأة لاستيعاب مثل هذه الافكار

يحاول السياسيون دائما يضيف عبد الجليل ان يستعملوا الزوايا كأداة لتأييد اوسع لدى الاوساط الشعبية و ذلك عن طريق تزكية شيوخ الزوايا للساسة الامر الذي يستوجب نفس الموقف للمريدين هذا ما تفطن له القائمون على الزوايا الطرقية في الجزائر و اتخذ هؤلاء موقف الحياد في اللعبة السياسية وهو امر منافي تماما للواقع حيث اجتمع شيوخ الطرقية لتزكية مترشح للرئاسيات هذا العام وقد شاهدنا جميعا ذلك في شاشة التلفزيون.

• **المقابلة رقم 02** :

- الاسم :عبد الرؤوف
- المدة الزمنية للمقابلة:60 دقيقة و 10 ثواني
- السن:23
- المستوى التعليمي: جامعي
- المهنة : /

عبد الرؤوف ورث الطريقة عن اجداده و قد قالها صراحة حيث ان اجداده كانوا ينتسبون الى الطريقة التيجانية و الرحمانية ,عموما فان عبد الرؤوف ورث التصوف ابا عن جد.

شيخ الطريقة هو قدوى يقول عبد الرؤوف يعتبر واسطة في تلقي معارف السلوك و الدلالة على الله عن شبخه عن شيخه عن شيخه الى غاية الوصول الى الرسول محمد صلى الله عليه و سلم و هو اب في السلسلة الروحية كما هو واصلة نسب الى سيدنا ادم.

و يضيف عبد الرؤوف بان :كون الصالح صالحا لا بد من ظهور كرامات و خوارق هي ليست من الجنس نفسه لتلك التي تظهر على غيرهم من السحرة و المشعوذين,و ليس بالضرورة ان يكون صالحا لتصبح لديه كرامات و هنا ظهر تناقض في كلام عبد الرؤوف فكون الصالح صالحا تظهر اوتوماتيكيا خوارق و كرامات و ليس بالضرورة ان يكون الرجل صالحا لتظهر الكرامات .

الاستقامة هي خير من الف كرامة يقول عبد الرؤوف هاته المقولة التي يشترك فيها كل المريدين الذين قابلتهم و لكن عبد الرؤوف نسبها الى شيخه المؤسس على غير نظيره عبد الجليل مثلا الذي نسب هاته المقولة الى الشيخ الشعراوي رحمه الله و هذا ما يدعم فكرة تأويل و تحليل الخطابات الدينية لخدمة افكار و اتجاهات معينة و يضيف عبد الرؤوف :الكرامة المعنوية هي الاستقامة ظاهرا و باطنا فأما الكرامة الحسية لا يلتفت اليها فهي من جنس المداعبات بين الله و احبابه

لا اظن البتة بان مصطلح المداعبة يصلح بان يستعمل كصفة تعامل بين الله و عبده فحاشاه العزيز المتكبر ذو الجلال و الاكرام.

يضيف عبد الرؤوف :يجب تقديم الولاء لمن دلك على الله تعالى و يجب ان تعبر دائما من خلاله الى الله تعالى اعترافا بالجميل الذي صنعه لك كونه دلك و عرفك بطريق الحق ,و النموذج المحمدي هو ذلك الشيخ الذي يعلمهم في الزاوية يقول عبد الرؤوف وبان لب الكرامات هو الخلق و ان موضوع

الكرامات هو موضوع قد ضخم حوله و يضيف عبد الرؤوف بان رؤية الله في المنام واردة و لكنها لم ولن تكون في اليقظة

بالنسبة الى اهم الطقوس او الممارسات التي تقام في الزاوية فان الذكر حسبما قال عبد الرؤوف هو اعظم و اهم الطقوس الممارسة و يكون عبارة على اوراد تحوي آيات من القران الكريم و تدعى بالورد القرآني ثم اوراد من الاذكار و العبارات المرتبة مثل الصلاة على النبي بأعداد كبيرة تصل الى الالف و هناك مكن يصلي على النبي قياسا بمدة زمنية معينة مثلا لمدة ربع او نصف او ثلث الساعة او يزيد عن ذلك فكل حسب اجتهاده ,ثم يقبلون على المدائح و اذا كان الشيخ موجودا يقوم بتدريسهم في ليلة الاثنين و الخميس بالإضافة الى ما سبق من اوراد و ذكر و هذه الدروس تدور حول مقامات السلوك يقول عبد الرؤوف :معاملة الحق سبحانه و تعالى او معاملة الرسول صلى الله عليه و سلم و معاملة الاكوان اي ما يحيط بك في مجتمعك ثم مقامات التزكية كيف تزكي نفسك و جوارحك .

اما بالنسبة للزيارات فهي موجودة حيث هناك في المواسم مثل المولد النبوي الشريف و كذا مولد السيدة فاطمة الزهراء و بالإضافة الى عاشوراء و ذكرى الشيخ المؤسس عبد القادر الجيلاني و الذي يحضر الى كل هذه الاحتفالات هم المريدون نفسهم اذ ان هناك تفاعل مستمر بينهم سواء كان خلال الممارسات الطقسية او من خلال التحضير و التعاون في انجاز الولائم و التي تعرف عندهم (بالسلكة).

و عندما خضنا انا و عبد الرؤوف عن تلك الحركات التي يقوم بها المريدون خلال الحضرة مع الضرب بالدفوف يقول :كما يفرح اهل الدنيا بالرقص او عندما تسجل الاهداف في مباريات كرة القدم كذلك يفعل اهل الدنيا عندما يذكر اسم الله تعالى و الرسول صلى الله عليه و سلم وحركات الجسم ليست بالأمر المشبوه فهو امر عادي .

و هناك نص ثابت ذكره عبد الرؤوف و قال عنه انه في صحيح البخاري بان سيدنا جعفر و هو احد الصحابي الكرام المقربين رقص حول النبي صلى الله عليه و سلم فرحا عندما قال له انك تشبهني خلقا و خلقا ,واضاف عبد الرؤوف بان الرسول اسن لنا الفرح وكل يفرح حسبه.

و هنا يضل تحليل الخطاب الديني لدى الصوفية مستمر حسب افكارهم و اتجاهاتهم و ممارساتهم و يأتي هذا التعبير و التحليل ليبرر كل تلك الممارسات ,و يستمر عبد الرؤوف في خطابه حول

الشطحات التي يقوم بها الصوفية اثناء الحضرة اذ يقول عبد الرؤوف :ان المريد حين يسمع الذكر وضرب الدف تستولي روحانياته عن جسمانياته فرحا فيصبح الحكم حكم الروح لا حكم الجسد ثم انتقد من ينتقد اولئك المريدين بقوله : لماذا لا يحكموا عنهم في صلاتهم و خشوعهم و لماذا لا يحكموا عنهم في ذكرهم.

و اضاف عبد الرؤوف بان :كل الزعماء الذين ساهموا في الحركات التحررية كانوا من الصوفية و ذكر الامير عبد القادر المقاوم المعروف للاستعمار الفرنسي و مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ثم ذكر الشيخ بوعمامة احد اشهر المقاومين كذلك و هذه الامثلة يضيفها عبد الرؤوف ليدعم بها افكاره و يؤثر بها على فئة او شريحة اخرى من المجتمع وهم المهتمون بالتاريخ الجزائري و المثقفين و يعود عبد الرؤوف الى الممارسات التي يقوم بها المريدون و يصفها بانها حالة روحية و تلك الممارسات المتعلقة بإيذاء الجسد بأدوات حادة اثناء الحضرة و بالنار احيانا و المسامير احيانا اخرى يقول عبد الرؤوف :قد تكون استعانة بالجن و هي محل خلاف حتى بين العلماء . ولا اعلم اي علماء الذين يبيحون التعامل مع الجن و هل هم علماء مسلمون او ما طبيعتهم تحديدا ؟

ثم يضيف عبد الرؤوف بقوله :كتب التنمية الذاتية قد فسرت ذلك وان الانسان قد يبلغ درجة من الصفاء الروحي حيث تخترق الطبيعة لتصبح الالات الحادة لا تشكل خطرا عليه اضافة الى رياضة قديمة و معروفة وهي (اليوغا) ويستطيع بواسطتها الفرد ان يجلس على الجليد فيذيبه بحرارة جسمه, فهذه اشياء موجودة و هي كانت عند البوذيين قديما و هي ليست كلها اعمال شيطانية و ليست كلها كرامات و يضيف عبد الرؤوف بان :الانشغال بهذه الامور يقطع المريد .

و عند السؤال عن ارتباط الزاوية بجوانب الحياة العديدة الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و الدينية و حتى السياسية يقول عبد الرؤوف مستهلا حديثه بالجانب السياسي :ان السادة الصوفيين لم ينازعوا السلاطين او الحكام و لم يتدخلوا في السياسة ابدا الا انهم يتدخلون عندما يرون هناك لزاما صريحا للتدخل و هو التهديد الذي يمس الدين و الوطن كما فعل الامير عبد القادر و الشيخ بوعمامة سابقا كذا فان الزاوية لا تتدخل في السياسة و لا كنه استثنى في هذه الآونة الاخيرة ذلك حيث قال بانه بالفعل يوجد مساندات مع الساسة و التي تمثلت في تزكية رئيس الجمهورية الحالي مثلا و اما عن الجانب الاقتصادي فان الزاوية تساهم في ضمان مساهمات المريدين في توسيع المقر او انشاء الوعدات

او السلكات حيث يشكل المريدون هنا قوة اقتصادية ,اما الجانب الديني واضح جدا وهو التشبث بالمبادئ الاسلامية و الفكر الصوفي لأنه حسب رأيه هو الاعلى مستوى من التدين العادي.

• **المقابلة رقم 04** :

- الاسم :الافلح
- المدة الزمنية للمقابلة:30 دقيقة و 42 ثانية
- السن:25 سنة
- المستوى التعليمي: متوسط
- المهنة : عامل

الافلح يقول بان انتسابه للطريقة القادرية كان وراثيا بحتا حيث انه ذكر بان اجداده من كلا والديه كانوا يرتادون الى الطريقة القادرية و هو يكمل مسيرة اجداده في اتباع التصوف و الطريقة القادرية خصوصا بما ان الافلح وراثي التصوف فانه مواظب باجتهاد كبير.

اما عن اعتقاد الافلح بشيخ الزاوية المؤسس الشيخ عبد القادر الجيلاني فهو يقول: نحن لم نرى شيخنا الجيلاني و لكننا بدخولنا تحت ورده و هي عبارة عن اذكار تحفظ عن ظهر قلب نكون قد اتصلنا به و بمجرد حفظك و تمكنك من الورد فانت منتمي للطريقة القادرية و بالنسبة لتمثلات اخرى لشيخ الطريقة لدى الافلح فانه يعتقد بشدة بان الوصول الى الله تعالى و معرفته حق المعرفة يجب ان تمر على مراحل و هي معرفة الشيخ الجيلاني ثم عن طريقه معرفة الرسول (صلى الله عليه و سلم) و من ثما معرفة الله عز و جل, و يقول الافلح: شيخنا الجيلاني كالباب يدخلك على حظرته صلى الله عليه و سلم و منه يدخلنا الرسول الى باب الله عز و جل و كما ان الافلح يقر بعدم وجود شراكة مع الله و لكن وجود الاتصال الغير مباشر مع الله ليس من مبادئ الدين الاسلامي فنحن المسلمون نتفق بان الوصول الى اله عز و جل يكون مباشرا فهو قريب جدا من عباده ,ويبدو ان هذه التمثلات واردة لدى جل المريدين و هي من المسلمات التي يقتنع بها المتصوفة و مريدو الطريقة القادرية بشكل خاص ومن بينهم الافلح و يشترك هؤلاء في نوعية تحليل الخطاب الديني و التصورات التي حصلت عليها من طرف اغلب المريدين حول الطقوس الممارسة في الزاوية القادرية فهي متشابهة اذ انهم يتفقون في مجملهم بان الذكر هو اهم ما يمارس عدى الصلاة داخل الزاوية ومن ثما تتنوع الاذكار و طريقتها و ما يلازمها من دف او حركات جسمانية و يضيف الافلح بان يقول :هناك زيارات اسسها مشايخ الزاوية مثل زيارة ضريح الشيخ الذي استقر و جلب الطريقة الى المنطقة محمد الطيب و هي زيارة سنوية لضريه داخل مقر الزاوية .

و عندما سالت الافلح عن رايه في زيارة الاضرحة افرزت اجاباته تمثلات عديدة فقال: زيارة الضريح يكون كل سنة و هي مثل وقفة عرفة يجدد بها المسلم ايمانه فهي تشبه زيارة قبر الرسول صلى الله عليه و سلم يغفر لك الله تعالى ذنوبك التي سبقت .

و عندما دخلت انا و الافلح في حوار حول نقطة الولي الميت الذي يطلب منه ويستغاث به يقول :هناك العديد الذين ينكرون علينا كيفية الطلب او الاستغاثة من ميت و انه لا ينفع ...لا ..نحن نعتقد بان قربه من الله تعالى يجعله يملك القدرة على الطلب من الله و ايصال ما نطلب اليه و يصيف الافلح :انه في البرزخ و هو يستطيع الدعاء لنا عندما نطلب منه ذلك و هذه كانت من اقوى التمثلات التي حصلت عليها من مريدي الزاوية و التي كانت صريحة جدا و هي السؤال من دون الله و الادهى و الامر ان يسال الميت الذي تنقطع اعماله في قبره بان ينفعهم و يشفيهم .

و الغريب ان جل المريدين يقول بانهم لا يجعلوا الولي شريكا لله و ليس في نيتهم ذلك بل هم يطلبون منه كونه قريب من الله اذ يقوم الولي بدور الدعاء بدلا منهم لضمان الاستجابة و هذه الامور ينكرها حتى الغير مثقف في الدين كونها من مسلمات التوحيد التي لا غبار و لا جدال فيها و هي عمود الدين و الايمان فلا شريك للحق سبحانه و تعالى اذ انه لم يجز لنا حتى الرسول الكريم الطلب و الرجاء من غير الله بل و قد حذرنا من ذلك رغم مكانة و خصوصية القرب من الله عز و جل فكيف لنا ان نسال من هو اقل منه شئنا و اضافة الى ذلك تحت التراب .

كما ان الافلح يضيف بان : عالم البرزخ وهي حياة ما بين الموت و يوم الحساب هناك يكون الاولياء الصالحين و بذلك تكون اعمالهم لا تنقطع ويمكن للمريد الذهاب الى جسد الولي داخل الضريح و الطلب منه و هو يسمعك و يقوم بتوصيل طلبك الى الله .

ثم يسرد لي الافلح الاجابات الاخرى فيما خص المناسبات و الاحتفالات التي تقام في الزاوية و هي عموما اجابات متشابهة بأنها احتفالات عامة تقوم بها جميع الزوايا على اختلاف طرقها و هي عاشوراء و المولد النبوي الشريف و ذكرى مولد فاطمة الزهراء ,و تكون على مدار السنة , اذا فالزيارات التي تشكل خصوصيات الزاوية هي زيارة ضريح الشيخ محمد الطيب و احياء ذكرى الشيخ المؤسس عبد القادر الجيلاني.

و يقول الافلح بان :الحياة الاجتماعية اكيد تكون مرتبطة بالزاوية كونها تشكل رابط روحي بين المريدين يمكنهم ان يشعروا به بمجرد ان يلتقوا خارج الزاوية في مكان اخر و الجوانب الاخرى يقول

الافلح: بانها غير مهمة كثيرا و خصوصا الجانب السياسي الذي يقول بان دور الزاوية هو دور توعوي بحت و ليس له علاقة بالسياسة و هذا ما ينفيه الواقع المعاش فيما خص الجانب السياسي فقد هرع شيوخ الزوايا الى تزكية مترشح لرئاسيات 2014 فور بداية حملته الانتخابية .